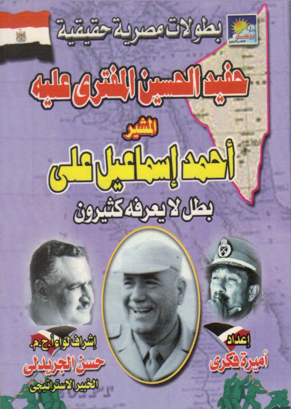

بطولات مصرية حقيقية
حفيد الحسين المفترى عليه
المشير
أحمد إسماعيل على
بطل لا يعرفه كثيرون
إشراف لواء أ.ح.م.
حسن الجريدلى
الخبير الاستراتيجى
إعداد
أميرة فكرى

•• سلسلة بطولات مصرية حقيقية (٨) ••

المشير

أحمد إسماعيل على

بطل لا يعرفه كثيرون

«حفيد الحسين المفترى عليه»

بقلم

أميرة فكرى

إشـــــــراف

لواء أ.ح.م

حسن الجريدلى

الخبير الاستراتيجى

دار ابن لقمان

أسسها: حسن البدوى ـ نبيل خالد

●● سلسلة بطولات مصرية حقيقية (٨) ●●
●● اسم الكتاب : المشير أحمد إسماعيل على
●● تصديق وزارة الدفاع: ٣٧٥٣٢. / ٢٢/ ١٢/ ٤٠٠٤
●● بقلم: أميرة فكرى.
●● إشراف/ لواء أ.ح. م حسن الجريدلى
●● تليفون - ٣٧٤٠٥٦٧ / ٠١٢ - ١١٢٤٣٨٧ / ٠١٠
●● رقم الإيداع: ١٣٩٨٦/ ٢٠٠٣م
●● الترقيم الدولى: I. S. B. N: 977-366-025-7

التوزيع الداخلى مؤسسة الأهرام.
القاهرة - ش الجلاء ت: ٠٢/٧٧٠٤١٩٤ - ٧٧٠٤٤٧٣ - ٧٧٠٤٢٣٥

الإشراف العام على السلسلة
لواء أ.ح.م أورهان حمادة
رئيس مجلس إدارة السلسلة
عميد م/ حسن البـــدوى
فكرة السلسلة ورئيس التحرير عميد م /نبيل خالد
البريد الإلكترونى
Nabil -khalid73@hotmail.com
☎: ٠١٢٣٧٤٠٥٦٧
المدير الإدارى/ سمير البدوى
مراجعة الأخطاء الشاعر/ السيد الخيارى

سلسلة بطولات مصرية حقيقية

١. مقاتل يغازل الموت — لواء أ.ح.م أورهان حمادة

٢. أبطال المهام الخطرة — لواء أ.ح.م أورهان حمادة

٣. أبطال الموت — عميد.م نبيل خالد

٤. أبطال معركة المنصورة — فتحى فوزى عبد المعطى

٥. الهجوم الأخير — لواء أ.ح.م أورهان حمادة

٦. دماء الأقباط — أمجد شهدى سدراك

٧. السادات.. وفدائى من الصاعقة

لواء أ.ح.م أورهان حمادة

٨. المشير أحمد إسماعيل على — أميرة فكرى

الإهداء إلى

- السيدة/ سماح الشلقانى ....

(الزوجة)

- أبناء السيد المشير/ أحمد إسماعيل ....

الأعزاء

- الصديق والزميل الوفى..........

اللواء أ. ح م/ حسن الجريدلى

والى من يحب هذا البلد العظيم

ويبذل فى سبيل رفعة شأنه النفس والنفيس

●●●●●

• شكر خاص إلى •

السيد القائد العام ووزير الدفاع/ **المشير حسين طنطاوى.**

اللواء أ. ح. م. د/ **سمير فرج** ...

رئيس مدينة الأقصر.

اللواء أ. ح. م/ **أحمد أنيس**...

وكيل أول وزارة الإعلام.

اللواء أ. ح/ **مصطفى عبد اللطيف**..

مدير إدارة الشئون المعنوية.

العميد م/ **نبيل خالد**..

الذى شجعنى على خوض هذه التجربة.

وجزيل الشكر للسادة المستشارين بإدارة الشئون المعنوية، الذين لم يبخلوا علىّ بأية معلومة أردت الوصول إليها وقد كان لهم دور عظيم فى تشكيل ثقافتى العسكرية والسياسية.

كما أشكر الجهات التى قامت بمراجعة الكتاب بوزارة الدفاع وفى النهاية أشكر شقيقتىّ «**إيمان ونسمة**»....

وأشكر كل من شجعنى على هذا العمل... وكل من سيقرؤه بإذن الله تعالى.

تقديم السيد اللواء
أ. ح. م/ حسن الجريدلى
الخبير الاستراتيجى

طالما راودتنى فكرة الكتابة عن المشير/ **أحمد إسماعيل** حيث زاملته لمدة تقدر بأكثر من ربع قرن وأعتبره قائدى ومعلمى وأخى الأكبر. وذكرياتى عنه ومعه لاحصر لها، ولاحدود. ولكن دائما ما تأخذنى مشاغل الحياة وأعتبر نفسى مقصراً وملوما لعدم تسجيل هذه الذكريات العطرة والشيقة والمليئة أيضا بالأحداث السارة وغير السارة. ودائما ما تثبت فى الذاكرة ولاتمحى تلك المواقف والأيام الصعبة والتى كثيراً ماحوتها خدمتنا العسكرية - نحن ضباط وجنود القوات المسلحة - ولاسيما تلك الفترة الحاسمة والتى حوت بين جنباتها الجولة الثالثة من **الصراع العربى الإسرائيلى عام ١٩٦٧، ثم مرحلة حرب الاستنزاف ثم تأتى مرحلة النصر واستعادة الأرض والكرامة التى توجتها حرب أكتوبر ١٩٧٣.**

وفى خضم هذه الذكريات وتداعياتها الدائمة بين جنبات

عقلى وفكرى، أجد ابنتنا النشيطة الكاتبة الموهوبة/ **أميرة فكرى** تتصل بى وتفاجئنى بأنها تعد كتابا عن المشير/ **أحمد إسماعيل على**، وأنها اتصلت بالسيدة الفاضلة حرم المشير، التى لم تبخل عليها بالحديث الشيق الرائع عن حياة المشير العسكرية الحافلة إبّان خدمته الطويلة فى القوات المسلحة.. أشارت السيدة الفاضلة عليها دون تردد أن تتصل بى لتشرفنى بالحديث عن المشير القائد لعلمها ويقينها بأننى أكثر من كان ملتصقا به ومزاملا له لسنين طوال. فضلا عن أن المشير كان دائما مايبدى معزة خاصة لى - رحمه الله -

ووجدتنى منساقا بكل الحب والود والاحترام إلى ضرورة أن أتحدث عن المشير بكل الصدق والصراحة فى جلسات متتالية مع ابنتنا أميرة والتى سجلت كل كلمة وكل ذكرى بمنتهى الصدق والأمانة.

وبعد أيام وجدتها تفاجئنى وتقدم لى **ملحمة كاملة** عن **«المشير/ أحمد إسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة المصرية ووزير الحربية فى حرب أكتوبر المجيدة»**. وبدأت أنهل من هذه الملحمة بكل أحاسيس الحب والاعتزاز للشخصية الرائعة التى تتكلم عنها لتتداعى الذكريات مرة أخرى وأفاجأ

بأنها قد خصصت فصلا كاملا لحديثي معها عن المشير . . .

ولا يسعنى سوى أن أوجه لها خالص الشكر على هذه اللفتة الكريمة التى حققت بعض ماكنت أتمناه دائما من أن أسجل ذكرياتي مع هذا الرجل العظيم . . .

والواقع أن هذا الكتاب «**المشير/ أحمد إسماعيل على:.. بطل لايعرفه كثيرون**» قد قدم للراحل الكريم بعضا مما يستحقه من تسجيل لحياته الحافلة كما أنه تكريم له ولذكراه العطرة؛ والجميل فى هذا الكتاب أنه بدأ بتعريف الأجيال الحاضرة التى لم تشاهد **أحمد إسماعيل** ولم تعاصر ما قدمه لجيله، ولوطنه، وللقوات المسلحة حتى تعرف عن قرب بطلا مصريا صميما يجدر بهم أن يفخروا به ويعتزوا. ثم يقدم الكتاب قطوفا من مذكرات الراحل العظيم ليسرد بعضا من حياته الحافلة بكل الصدق والصراحة.

كما يتناول الكتاب سيرة هذا الرجل من أفواه من عاشروه عن قرب وممن ارتبطوا به بأوثق رباط فبدأ بحديث الزوجة الفاضلة رفيقة الحياة وينبوع الحب والصفاء والمساندة الدائمة للزوج الفاضل المثقل دائما بهموم مصر وقواتها المسلحة طوال حياته العسكرية وماتعرض له فى فترة منها من قسوة ومرارة

حين أجبر على ترك القوات المسلحة. ولكن يشاء القدر الكريم أن يعيده إليها ليقودها فى أشرف وأجل وأعظم أوقاتها وهو معركة النصر فى حرب أكتوبر المجيدة ولكن بالقسوة القدر حين يقدر له أن يتركها بعد فترة وجيزة مع تركه الحياة كلها ليقابل ربا كريما وقد أدى واجبه نحو وطنه أفضل وأشرف أداء.

ثم يقدم الكتاب الفصل الرابع حاويا كل مادار فى خلدى فى حديثى مع المؤلفة النشطة من ذكريات ووقائع من الصعب اختصار أية لمحة منها فى هذه المقدمة حيث أترك للقارئ الكريم حرية الاطلاع والحكم ولو أنى واثق من أنه سيتابع هذا الفصل وأيضا مأأتت به الفصول الأخرى بعده بكل الاهتمام والمتعة، حيث إنها صادرة من شخصيات متعددة لكل منهم رأيه وذكرياته وتقديره للراحل العظيم.

ولايسعنى بعد هذه المقدمة إلا أن أتوجه إليك أيها القارئ لهذا الكتاب برجاء واجب هو أن تتمعن فى ماجاء به وأن تقدر المجهود الكبير الذى بذلته الكاتبة الدؤوب لإخراج هذا الكتاب بالأسلوب والصورة التى تليق بواحد من أبطال مصر وقادتها العسكريين الذين من الواجب علينا أن نعتز بهم ونفخر وأن

نقل صورته وسيرة حياته وأعماله إلى أولادنا وأحفادنا لكى يفخروا ويتباهوا ببطل مصرى وقائد صميم أدى واجبه نحو وطنه وأمته بكل الجهد والعرق وأفنى حياته فى سبيل مصرنا العزيزة.

وأخيرا، فإننى عن اقتناع كامل وعن تقدير سليم بأن هذا الرجل القائد رمز هذا الكتاب يجب أن يوضع فى مصاف أترابه[1] من القادة العظام ـ ليس فى تاريخ مصر فقط ـ بل فى العالم أيضا فهو من وجهة نظرى لايقل مرتبة أوعظمة عن أترابه فى العصر الحديث أمثال (روميل، مونتجمرى، زيكوف..).

رحم الله **«المشير أحمد إسماعيل»** على وجزاه كل الخير وجعل مثواه الجنة لكل ماقدمه لوطنه ولأمته.. فالله لايضيع أجر من أحسن عملا.

لواء أ. ح. م/ حسن الجريدلى

القاهرة ٢٠٠٤/٩/٩

(١) أقرانه.

مقدمة

لواء أ. ح. م/ أورهان حمادة

المشير أحمد إسماعيل على هذا شخصية فريدة ومتميزة من نوعها وهو يمثل قمة العسكرية المصرية الحديثة.. وأنا شخصياً مؤمن بأن هذه الشخصية العسكرية المتميزة يندر أن تتواجد إلا كل مائة عام على الأقل، ومن محاسن الصدف أنه كان موجوداً فى توقيت مظلم لتاريخ مصر (بعد نكسة ٥ يونية) ليقود الجيش المصرى العظيم هو ومعاونوه إلى النصر الذى كنا فى أشد الحاجة إليه لاسترداد أرضنا وكرامتنا.

وباستعراضنا لحياته نجده أنه كان يعشق الحياة العسكرية، وهذا سر آخر من أسرار نجاحه. فقد قدم نفسه للإلتحاق بالمدرسة الحربية (الكلية الحربية) ثلاث مرات متتالية ويتم رفضه إلا أنه قبل فى النهاية عام ١٩٣٨ وهذا يظهر إصراره وإيمانه بالخدمة العسكرية وبالدفاع عن الوطن، وكان سبب قبوله فى المرة الأخيرة أن الإنجليز الذين كانوا يحتلون مصر وافقوا على زيادة عدد الضباط فى الجيش المصرى لخدمة أغراضهم (حيث كانت إنجلترا مقبلة على الحرب العالمية الثانية التى نشبت ما بين عام ٣٩ إلى ١٩٤٥) وتحتاج إلى الجيش المصرى لخدمتهم.

لقد كان الضباط المصريون قبل ذلك الوقت (أى قبل عام ١٩٣٨) من أولاد الأسر الثرية (الأب والأم يملكون حيازة أرض زراعية أو مبانى)، وكان عليهم تقديم ما يثبت ذلك فى كشف الهيئة حيث يفضلون عن أقرانهم، وكان عدد الدفعة من الضباط لايزيد عن الأربعين ضابطًا فى العام.

وهكذا لعبت الصدفة والتاريخ دوراً هاماً فى انضمام **أحمد إسماعيل** إلى القوات المسلحة.

وكان هناك عامل هام وحاسم فى شخصية وبيولجية **أحمد إسماعيل** فهو من عائلة الأشراف التى يمتد نسبها إلى **الحسين بن على بن أبى طالب** الذين اشتهروا بكفاحهم وحبهم لدينهم ولوطنهم وأمتهم وقد لعبوا دوراً هاماً فى تاريخ مصر خلال القرنين الماضيين. فقد تزعم الأشراف مع الأزهر ثورتين متتاليتين ضد الحملة الفرنسية فى عهد نابليون بونابرت ثم هزم حسن كريت نقيب الأشراف برشيد الحملة الإنجليزية على مصر عام ١٨٠٣ بالرغم من تقاعس حاكم مصر فى ذلك الوقت محمد على باشا. ثم تلى ذلك ظهور أحمد عرابى وبدأ الحركة الوطنية بمصر وكان من الأشراف أيضاً ثم كانت قيادة الشريف أحمد إسماعيل للقوات المسلحة فى حرب أكتوبر المجيدة ثم

نهاية بالرئيس محمد حسنى مبارك الذى هو أيضاً من الأشراف.

أما النساء من عائلته فهم من أصل شركسى (قوقازى) وهم قوم مقاتلون بالفطرة (لطبيعة بلادهم الجبلية).

وبهذا كان **أحمد إسماعيل** يبدو عملاقاً كقوقازى الشكل لأن أسرته كانت من الطبقة الوسطى التى تحترم القوانين والعادات والانضباط وتؤمن بالقيم الأخلاقية والسلوك القويم وهذا ما جعله شديد الإنضباط بعد دخوله المدرسة الحربية.

*** أما عن صفاته الشخصية:**

فهو شديد الذكاء: لقد كان فائقا فى دراسته (خاصة حبه الشديد للعلوم العسكرية) مماجعله البريمو (الأول) على دفعته (وهناك ملحوظة هامة وهى أن الرئيس محمد أنور السادات كان دفعته ويعلم قدرة بريمو الدفعة).. علاوة على تصدره المراتب المتقدمة دائماً فى جميع فرقه ودراساته..

قوة التحمل والصبر والجلد:

وهذا يظهر جلياً فى طبيعة خدمته القاسية بسيناء وطول خدمته بها.. علاوة على توليه المناصب القيادية الصعبة من قائد فصيلة مشاة إلى قائد جيش.

التطوير والتنمية الدائمة لشخصيته :

كان دائماً مايطور نفسه بدراسته لأركان حرب ثم الأكاديمية العسكرية الروسية (فرونزا)، وكان للمشير أحمد إسماعيل دورٌ كبيرٌ ضمن مجموعة من الضباط فى تحويل عقيدة وأساليب قتال الجيش المصرى من العقيدة الغربية إلى العقيدة الشرقية المصرية.

الثقة بالنفس والاعتداد بها :

ترجع إلى أصوله وإلى ذكائه واكتسابه الخبرة بالطريقة المتسلسلة الطبيعية للقيادة وتفوقه على أقرانه، وطبيعة خدمته القاسية.. علاوة على عدم إعتماده على المحسوبية والشللية للوصول إلى المناصب الهامة.. فقد كان فى زمنه من يرغب فى تولى المناصب الهامة والترقية كان عليه أن ينضم إلى شلة المشير عبد الحكيم عامر.. لذا كان محط أنظار الجميع وحاولت الشللية التخلص منه أكثر من مرة بالرغم من كفاءته العالية، فقد نجحت فى التخلص منه مرتين حتى مجئ الرئيس الراحل محمد أنور السادات وإرجاعه للخدمة كمدير للمخابرات العامة ثم صار وزيراً للحربية وهنا أتذكر عمى المرحوم عقيد أ. ح متقاعد عصمت حمادة وكان حاصلاً على نجمة الملك فؤاد فى حرب ٤٨ لأعماله البارزة فى القتال وكان قد استبعد من القوات

المسلحة وتم نقله للإدارة المحلية كرئيس مدينة (لأنه ليس من الشلة) عندما قال وهو فى الخدمة المدنية: لأول مرة يأتى لمصر قائد يستطيع أن يقودها فى الحرب القادمة، وعلى السادات إستغلاله لهذه الفرصة، وكان هذا القول ناتجا من أنه خدم مع المشير أحمد إسماعيل ويعلم جيداً معدن الرجل وقدراته.

وبهذا لم أتعجب عندما قال اللواء أ. ح متقاعد حسن الجريدلى أستاذ الجميع وأحد عباقرة العسكرية المصرية فى فن العمليات (كان مديراً للعمليات ثم سكرتيراً عاماً لوزارة الحربية) بأن المشير أحمد إسماعيل يجب أن يوضع فى مرتبة القادة العظام كمنتجمرى وأيزنهاور وروميل بل وأقول خالصاً للتاريخ: إنه أفضل من بعضهم فقد خطط وأدار معركة بأقل الإمكانيات والأسلحة والمعدات مقارنة بجيش العدو الإسرائيلى الذى كان يملك جميع الإمكانيات وبالرغم من هذا فقد نجح فى تحقيق النصر بفضل التخطيط الفائق وخطط الخداع الجيدة وإلمامه الجيد بنقاط قوة وضعف العدو ونقاط القوة والضعف لجيشنا العظيم واستغلاله الجيد لذلك.

وأخيراً أستطيع أن أقول أن هناك تركيبة عجيبة فى اختيار القائد المشير أحمد إسماعيل ومعاونيه ولكنها كانت تركيبة

صحيحة وتكمل بعضها البعض وهى ضرورية لمعركة كبيرة وعظيمة اشترك بها حوالى نصف مليون مقاتل مصرى فى حرب أكتوبر فالمشير أحمد إسماعيل امتاز بالشجاعة وقوة التحمل والخبرة والبصيرة الناتجة عن الخبرة الواسعة ولكنه كان يميل إلى الحذر والدقة خاصة فى ظروف جيش قد خانته الظروف من قبل (٥ يونية) ولايتحمل الخسارة مرة أخرى. . أما الفريق سعد الشاذلى فكان يمتاز بالشجاعة إلى حد الجرأة والاندفاع والأفكار المتطورة للتعامل مع المشاكل المفاجئة، وبهذا كان يكمل شخصية المشير أحمد إسماعيل الذى يمتاز بالحذر والتريث. . فالجيش يجب أن يقاتل بشجاعة وبحذر أو بمعنى آخر (بالمخاطرة المحسوبة) وهكذا كانت شخصية القائدين مكملة لبعضهما البعض، وهذا يعلل اختلاف موقفيهما فى التعامل مع الثغرة. .

فالأول: رفض تحريك قوات من الشرق للغرب لمحاصرة الثغرة وفضل أن يحاصرها بالقوات المركزية (وإن احتاج هذا لبعض الوقت).

أما الثانى لقد أراد سرعة جلب قوات من الشرق للغرب لسرعة التعامل مع الثغرة، وفى الحقيقة فإنى أرى أن كلا القرارين سليم ولكن بدرجة متفاوتة من النجاح ولكن الحكم

الحقيقى أو الحاسم هو أن نجرب كلا القرارين ونرى كيف سيؤثر قتال القوتين بالنيران والعتاد لمعرفة أى من القرارين كان أصوب وهذا على الطبيعة صعب التنفيذ حيث أن القرارين يتوقفان على عوامل متشابكة ومتضادة متعددة بعضها مادى والآخر معنوى **كعوامل عدة مثل:**

- الروح المعنوية ومدى قدرة المحاربين على التحمل والصبر.
- كفاءة ومدى إمكانية الأسلحة والقوات المتوفرة بعد أن استنفدت فى قتال مضن لعدة أيام.
- مدى التسهيلات والتكنولوجيا المتوفرة لدى كلا الطرفين المتصارعين.
- حجم المساعدة الخارجية ومدى تأثيرها على كلا الطرفين المتصارعين.
- مدى إمكانية إستخدام مسرح العمليات الجديد فى منطقة الثغرة.. إلخ.

ولكننى كرجل عسكرى متقاعد أميل إلى رأى المشير أحمد إسماعيل ذلك الرجل الذى وثق فيه الجميع لخبرته الكبيرة وإلمامه

الكامل بالإمكانيات المحدودة التى فى يده.

رحم الله قائدنا العسكرى العظيم المشير أحمد إسماعيل على وأسكنه فسيح جناته هو ورفاقه الشهداء المخلصين لبلدنا العظيم مصر..

لواء أ.ح متقاعد
أورهان حماده
المشرف العام على سلسلة
بطولات مصرية حقيقية

●●●●●

حفيد الحسين المفترى عليه

عميد م/ نبيل خالد

ما زالت مسيرة سلسلة بطولات مصرية حقيقية تتقدم بثبات ونحمد الله أنها حققت نجاحا جعل الأخوة والأخوات من القراء والقارئات يطلبون المزيد من البطولات وها نحن نقدم لهم **العدد الثامن** بفضل الله وقد كتبته الكاتبة أميرة فكرى وهى كاتبة مصرية يتميز أسلوبها بالعبارة الرشيقة والفكرة الناضجة وقد كتبت بأسلوب المبدعة فقد سبق أن كتبت ونشرت الروايات والقصص التى فازت فى مسابقات محلية ودولية كما أن إلمامها بالعلم العسكرى وذلك من خلال عملها بالقوات المسلحة وحصولها على دورة محررين عسكريين وقد أشرف على هذا الكتاب أحد عمالقة قادة القوات المسلحة السيد اللواء أ.ح.م حسن الجريدلى صاحب العلم العسكرى الغزير والموهبة التى شارك بها فى التخطيط لحرب أكتوبر المجيدة وكثير من الخطط الناجحة مما يجعلنا نأمل ألا يبخل على القراء والقارئات بمذكرات سيادته.

ونشكر السيد اللواء أ.ح.م أورهان حماده الذى شارك وأشرف على هذه السلسلة مما حقق لها هذا النجاح الرائع.

أما لماذا قلنا إن المشير أحمد إسماعيل هو حفيد الحسين المفترى عليه.

فذلك حتى نبين مدى صمود هذا البطل العظيم وعظمته فى مواجهة المحن وليكون قدوة لمن يعرف ذلك ليس فى الحروب فقط بل فى كل أوجه الحياة وسنعدد أوجه الافتراء.

*** افترى عليه عندما رفض قبوله طالبا بالكلية الحربية عندما تقدم للالتحاق بها مرات متعددة وفى كل مرة يرفض بحجة أنه لايصلح ورغم ذلك أصر على الالتحاق وحقق هدفه.**

*** افترى عليه عندما تم إعفاؤه عقب هزيمة حرب يونيو سنة١٩٦٧رغم أنه لم يكن له أى دور فى هذه الهزيمة وتراجعت القيادة السياسية عن قرارها وأعادته ليشارك فى إعداد القوات المسلحة للدفاع عن أرض الوطن ولاستعادة الأرض المحتلة.**

*** افترى عليه عندما ظن جيرانه أنه كان يحمل هدايا فى سيارته إلى بيته وهى لفافات ضخمة ولم تكن إلا خرائط وأوراق التخطيط للعمليات العسكرية.**

*** افترى عليه عندما تم إعفاؤه من منصبه كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة بسبب عملية استعراضية للقوات**

الإسرائيلية في البحر الأحمر.

* افترى عليه المرض الخبيث الذى حاول أن يقعده عن العمل لكنه نسى المرض وكتم آلامه العظيمة ليشارك فى قيادة القوات المسلحة كوزير للدفاع فى حرب أكتوبر سنة١٩٧٣ ولم يكن أحد يعلم أن هذا القائد العظيم مريض بالسرطان وكان يتألم ألما عظيما.

* افترى عليه عندما لم يكرم التكريم الذى كان يستحقه مثلما تكرم رموز الفن والثقافة من «إقامة تماثيل» وإحتفاليات إعلامية خاصة بهم.

ولعل ذكاء الرئيس الراحل محمد أنور السادات بطل حرب أكتوبر هو الذى جعله يعرف أن القائد الذى يحس بالظلم هو الأقدر على قيادة القوات إلى النصر لأنه سيكافح ليثبت أنه لم يكن يستحق هذا الظلم وهذا لمعرفة الرئيس الراحل محمد أنور السادات بقدرات ووطنية المشير أحمد إسماعيل على وتحية لهذا البطل! وإلى اللقاء فى بطولات أخرى إن نشاء الله.

عميد م/ نبيل خالد

رئيس تحرير سلسلة بطولات مصرية حقيقية.

تمهيد:

إن التاريخ له طرق متعددة لتسجيل الأحداث.... فهذا أحدهم يكتفى بسرد الحدث ووقائعه، والآخر يغوص فى التفاصيل شارحا ومعلقا، والثالث يركز على الأسباب والنتائج،.... إلى آخره.

وهكذا تختلف الطرق وتتعدد الأسباب.. ولكن أفضلها هو ما يلتزم الصدق والموضوعية.. وإن كان قد قدر لى أن أشارك فى كتابة سيرة وقصة حياة لبعض الرموز التاريخية.. التى تركت بصمة واضحة فى تاريخ بلدنا الحبيب، فقد كان علىّ أن ألتزم الصدق فى الكلمة، والمعنى، والإحساس.

صدق الكلمة كما جاءت على ألسنة القادة والزملاء فى المعركة والميدان **صدق المعنى** فى الرسالة التى قدمها بطلنا، وإنجازاته، وبطولاته التى سجلت فى لوحات الشرف والمجد ونقشت فى القلوب.

صدق الإحساس فى وصف البطولة التى قام بها ونقل المعانى الإنسانية والمشاعر السامية ، وإبراز علاقاته بنواته الأولى ووطنه الأكبر.

والحقيقة أننى وقعت فى مأزق.. إذ ما أكثرها النماذج التى تذخر بها مصرنا العزيزة على مر عصورها.. وحتى أقلل من وقع هذا المأزق وهذه الحيرة فقد وجدتنى أتجه **لاختيار رموز من أبناء القوات المسلحة**.. لأنهم ذوو طبيعة خاصة تمكنهم من التكيف مع مختلف الظروف والأزمات والأوقات... وبالتالى كان المرادف لهذا التكيف هو العطاء والقدوة على الإنجاز والتضحية بالروح والوقت والجهد والصحة.. ووجدت أن فى وقت السلم بطولات وإنجازات تذكر، ووقت الحرب ملاحم وتضحيات لا تنكر.. وأخذت أفكر بأى رمز من رموزنا أبدأ هذا الكتاب، وأى بطل أختاره فى هذه السلسلة.. والحقيقة أنه فى حياة كل إنسان **لحظات لا تنسى.. ألا وهى اللحظات التى يؤدى فيها واجبه ويشعر بعدها براحة الضمير والنفس أمام الله سبحانه وتعالى**.. وفى حياة الأمم لحظات صادقة تظل ذكراها متجددة على مدى التاريخ.. هذه هى اللحظات التى ترتفع فيها أعلام الوطن ويكتسب فيها احترام جميع الأطراف تنظر إليه بعين الإعجاب والانبهار وهو يمارس فيها دوره الذى اختاره له القدر.. وأعظم هذه اللحظات جميعا عندما تتوافق لحظة الانتصار للفرد مع انتصار الوطن والمجتمع.. تلك هى لحظة

الساعة الثانية ظهر السبت السادس من أكتوبر ٧٣ . ألا وهى اللحظة التى حققت فيها قواتنا المسلحة مع شعب مصر أعظم انتصاراتها فى العصر الحديث.. وعلى هذا فقد رأيت نفسى تتجه للمشير أحمد إسماعيل، وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة إبانّ حرب ٧٣.. وأحد الرجال الذين لهم دور أساسى فى الانتصار، بجانب كل من شارك فى هذه الحرب المجيدة.. **وذلك لسببين: الأول أننى وجدت كثيرين ممن هم من جيل الشباب ولا يعرفون من هو صاحب هذا الاسم، وما هو الدور الذى قام به.. والثانى هو قلة الكتب التى وجدتها تتحدث عنه.. صحيح أنه** ذكر فى مذكرات القادة.. ولكنى كنت أبحث عن كتب تتناوله هو وتتحدث عنه هو بصفة خاصة.

ومن الواجب أيضا أن أوضح نقطتين:

الأولى: أننى أكتب عن قدوة ومثل يحتذى به فى عالم الشباب، وأنقل عنه أحداث ووقائع وأتناول سيرته الذاتية والإنسانية، فاخترت أن أنقل الأحداث وتفسيرها كما عايشها القادة العسكريون ورؤية كل من عاصر هذا الحدث بمنظوره الشخصى والعسكرى والاستراتيجى. كذلك رؤية الزوجة لهذا

الرجل من المنظور الإنساني. وكل من صادفه وعرفه عن قرب.

والثانية: أننا بشر ولسنا ملائكة معصومين من الخطأ وعلى هذا فإن لكل فرد مزايا وعيوبًا.. وقد توجد سقطات لكل إنسان.. قد يغفرها البعض لا يستطيع البعض الآخر نسيانها.. ولكن تبقى حقيقة واحدة ، هى أنه توجد بطولات حقيقية وبصمات قوية، لا يستطيع أحد أن يمحوها من ذاكرة التاريخ أو أن يسقطها من أحداث الزمن فكل من شارك فى هذه الحرب له دور لا نستطيع إغفاله أو إنكاره مهما حدث، وهذا هو ما أسعى للتنقيب عنه وتسجيله فى كتابى هذا.

وتحضرنى هنا مقولة قرأتها وأعجبتنى وهى: « **تكون وتعيش وتموت، ولكن الصفوة يختصهم القدر بالخلود، فيصبح الفرد إنسانا، ويعيش مناضلا، ويموت بطلا أو شهيدا**».

أميرة فكرى

الفصل الأول

أحمد إسماعيل في سطور:

(من هو أحمد إسماعيل)

(إنني لست بأفضل من زملائى الذين أعطوا أرواحهم وحياتهم وعصارة فكرهم وجهدهم فداءا للوطن).

لست إلا رجلا من بين هؤلاء الرجال.. أتاحت لى الظروف أن أكون فى مكان القيادة ، فوفقنى الله بهم ووفقنا جميعا إلى تحقيق أمل أمتنا فينا).

هذه هى آخر كلمات المشير أحمد إسماعيل فى ختام مذكراته ذات الصفحات القليلة والتى سجلها فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٤.

والتى آثرت أن أبدأ بها عند تعريفى له ولشخصه حيث لمست من هذه الكلمات التى تحوى معان كثيرة، حيث التواضع والإيثار والأدب الجم، والولاء العظيم .. إلى آخره من المعانى النفيسة التى نفتقدها هذه الأيام..

فالمعروف أن القيادة حلم، يراود الكثيرين، ويمكن أن يتحقق بالجهد والصبر والإيمان.

وقليلا ما يتحقق بالحظ ولكن لا يدوم طويلا .

والبطولة ترجمة مباشرة للقيادة الناجحة.

ولكن من هو القائد؟! ومن هو البطل؟! ومن هو أحمد إسماعيل ؟!

هذا ما سنعرفه فى الفصول القادمة «إن شاء الله».

*****

قطوف من السيرة الذاتية العسكرية

للمشير الراحل / أحمد إسماعيل

المشير/ أحمد أسماعيل على، ولد فى «الرابع عشر من أكتوبر ١٩١٧»لأم وأب مصريين وتمد جذوره للنسب الشريف حيث ينتمى لنسل الحسين رضى الله عنه وهو من القلائل الذين تدرجوا فى المناصب العسكرية من أدناها لأعلاها وعمل بالتشكيلات ، تخرج من الكلية الحربية فى يوليو ١٩٣٨، برتبة ملازم وعمل ضابطا للاستطلاع وقائدا لفصيلة فى الكتيبة الرابعة مشاة. فى ١٩٤٠ رقى لرتبة ملازم أول وانتقل بعد فترة للتدريس بمدرسة الأسلحة والذخيرة ، ورقى إلى رتبة نقيب عام ١٩٤٤.

شغل منصبًا هامًا فى الكتيبة الثانية مشاة لمدة عامين، وسرعان ما اختير عام ١٩٤٧ ليعاود التدريس مرة أخرى فى مدرسة المشاة.

وفى عام ١٩٤٨ ترقى لرتبة صاغ (رائد) ويتولى قيادة سرية فى رفح. وبعد ذلك بقليل ينتقل للواء مشاة، ثم يختار لبعثة

تدريبية فى الخارج ، ويتفوق على زملائه المصريين والأجانب معا.

وسرعان ما يجتاز بتفوق دورة تدريبية أخرى بإنجلترا، ويعود ويشارك فى حرب ١٩٤٨، ومع انتهاء الحرب نراه يعود للدراسة مرة أخرى بكلية أركان الحرب ، ويتخرج منها عام ١٩٥٠ وكعادته كان التفوق حليفا له.

وفى عام ١٩٥١ يترقى لرتبة بكباشى ويعمل مدرسا بكلية أركان حرب.

وتتوالى المناصب التى تولاها وخدم بها ما بين التشكيلات والمنشآت التعليمية، ودائما ما كان التفوق قرينا له فى الدراسة والعمل .

ونجده يشارك فى صد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، ويشتبك مع العدو فى عدة معارك تنتهى بأن يصبح القائد المصرى الذى يرفع علم مصرنا الحبيبة فوق أرض بورسعيد فى أواخر ديسمبر ٥٦.

وبانتهاء الحرب نجده يعاود الدراسة، ويلتحق بأكاديمية فرونز العسكرية بروسيا، ويتخرج فى عام١٩٥٨ كعادته متفوقا،

وسرعان ما يترقى لرتبة عميد، ويعود للتدريس بالكلية الحربية.

وفى عام ١٩٦١ يمنح رتبة لواء، ثم تتوالى المناصب القيادية له بعد ذلك.. وتقع النكسة التى ظلمنا فيها.. ومع انتهائها يحال إلى التقاعد كغيره من قادة آخرين، ولكن سرعان ما يعود للخدمة مرة أخرى بعد يوم أو يومين، ويكلف بقيادة الجبهة، ثم يعين رئيسا لهيئة العمليات.

وفى عام ٦٩ يستشهد رئيس الأركان فى ذلك الوقت **الفريق عبد المنعم رياض**. رحمه الله.. ويتولى رئاسة أركان حرب القوات المسلحة حتى يعزل من منصبه فى سبتمبر ١٩٦٩م.

ولا تنتهى حياته العسكرية عند ذلك؛ بل تبدأ مرحلة أخري هامة.. فها هو يعود لخدمة مصر مرة أخرى فى ١٥ مايو ١٩٧١، وذلك من خلال إدارته لجهاز المخابرات العامة، والتى كانت سلّما أو تمهيدا وضعه فيه الرئيس الراحل أنور السادات لينقله لموضع آخر، لا يليق بأحد غيره، ولا يستطيع أحد أن يتولاه إلا هو فى ذلك الوقت، وهو أن يصبح قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية فى أكتوبر ١٩٧٢.

وبدأ منذ هذا التاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ وهو يستعد لحرب التحرير والكرامة . . ويسعى لتنفيذ المهمة الجسيمة التى كلفه بها رئيس الجمهورية . . وهى الإعداد لحرب . . ثم قيادة القوات أثناء الحرب ومعه باقى الرموز الأخرى العظام إلى أن يظفروا بالنصر . . ويقتنصوا النصر على رقبة العدو الغاشم، وترفرف أعلام مصر على أرض سيناء، وبانتهاء الحرب يمنح رتبه مشير من القائد الأعلى للقوات المسلحة.

وفى أبريل ٧٤ يتم اختياره نائبا لرئيس الوزراء مع الاحتفاظ بمنصبه، كوزير للحربية، وهو آخر منصب تولاه، ونتيجة للمجهود الشاق، وسهر الليالى، والتفكير في العمل؛ ينهش فيه المرض الذى كان يقاومه بكل شجاعة وقوة كعادته، ولكنه سرعان ما يستسلم عندما يعلم أن الخالق أراد استرداد وديعته، وينتقل إلى رحاب ربه فى ٢٦ ديسمبر ١٩٧٤ بعد حياة حافلة بالعمل والجهد انتهت بالتتويج بالنصر عن عمر يناهز السابعة والخمسين عاما، فرحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

●●●●●

الفصل الثانى
بداية رد الاعتبار الحقيقى
(من مذكرات المشير أحمد إسماعيل)

المكان: منزل الرئيس محمد أنور السادات

الزمان: ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢، ١٩ من رمضان ١٣٩٣، الثالثة بعد الظهر.

الحدث: فى غاية الأهمية.

فى هذا اليوم كان بطلنا لا يزال رئيسا للمخابرات العامة، وقد استدعاه رئيس الجمهورية لأمر هام. وأخذ يفكر، ترى فى أى أمر استدعاه؟! ... وبأى شيء سيخبره؟!!

ولم يطل الوقت كثيرا، فقد أخبره الرئيس بعد وقت قصير بأنه وقع عليه الاختيار بأن يكون وزيرا للحربية!!.. يالها من مفاجأة سارة .. ومن مسئولية جسيمة.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك فقط.. بل كلفه أيضا.. بإعداد القوات المسلحة للحرب بخطة مصرية خالصة تنفذها القوات المسلحة.

وانتهى اللقاء وبدأ التفكير.

وانطلق بسيارته عبر شوارع القاهرة العتيقة وأخذ يدور بذهنه شريط طويل من الذكريات والأحداث.. وها هو يرتدى ملابسه العسكرية مرة أخرى، ويتذكر ما حدث له فى سبتمبر ٦٩ عندما اضطر لتركها!.

(كل ما أرجوه أن أتمكن من الاشتراك فى القتال عندما يتقرر القيام بحرب شاملة ضد إسرائيل.. وفى هذه الحالة أرجو أن أعود للخدمة ولو كقائد فصيلة، أو جندى).

بهذه الكلمات خاطب اللواء أحمد إسماعيل الفريق أول محمد فوزى (وزير الحربية فى ذلك الوقت) وذلك عندما استدعاه الأخير وأبلغه بقرار إعفائه من منصبه كرئيس للأركان

فى ١٩٦٩/٩/١٣.

وتمضى الأيام والشهور وهو يمارس حياته كلواء متقاعد، يتقاضى معاش لواء، ثم يرتفع لمعاش وزير فى عام ١٩٧٠، وبقدر ما كان هذا رد اعتبار له.. إلا أنه لم يكن سعيدا بقدر سعادته عندما طلب منه العودة للعمل الرسمى بالقوات المسلحة مرة أخرى.

إن ١٩٧١/٧/١٤ من التواريخ الهامة فى حياته.. فى هذا اليوم.. أصدر الرئيس **السادات قرارا بتعيين «اللواء أحمد إسماعيل على» رئيسا للمخابرات العامة**.. وتبدأ الحياة تسرى فى أوصاله مرة أخرى؛ فقد كان تقديرا له كجندى وهب حياته لمصر. ثم ها هى فرصة بشكل ما ليسهم فى خدمة بلده فى معركتها المقدسة، ويثأر لها ولنفسه، ويسعى لاستعادة الكرامة.. وتمضى الأيام.. لتأخذنا لعودته للقوات المسلحة.

ومنذ اليوم الأول لعودته للخدمة بالقوات المسلحة مرة أخرى... وهو يعمل ويخطط وبالرغم من ضخامة المسئولية

وخطورة حجمها، إلا أنه كان على قدر كبير من التفاؤل والثقة بالنفس فى نفسه وفى جنود مصر الأوفياء؛ وقبل كل ذلك فى **الله (عز وجل)**.

وتبدأ الرحلة.. ويتم عزف سيمفونية رائعة ويسمع لحن رائع من التعاون والانسجام والولاء بين القادة العظماء، وبالرغم من ذلك فقد ظهرت بعض النغمات الشاذة إلا أن العزف الجماعى كان أفضل وأنجح بكثير.

ويحمل بطلنا على عاتقه مهمته الجسيمة ويسعى لعمل تقدير شامل للموقف وفى ذلك الوقت كانت القوات المسلحة تعانى من مشاكل متعددة تطلبت منه وضع أولويات لها ولحلولها وفق خطة سليمة ودقيقة.

وفى مذكرات «المشير/ أحمد إسماعيل» نجده يقول: عندما كنت أتحدث إلى القادة عن أن القضية لن تحل إلا بالحرب وإنها لقريبة، كان البعض يبتسم، كأنى أتحدث عن خيال! لأنهم كانوا قد وصلوا إلى درجة اقتنعوا معها بأن هذه الحرب بعيدة

المنال.. ولكنى إيمانا بالله وبالقائد الأعلى وبالرجال، كنت متأكدا بيقين أن تلك الظروف المتشككة ما هى إلا ظروف عارضة وأنها لن تؤثر فى معدن الإنسان المصرى الذى حارب وانتصر عبر العصور ولكنى أؤكد أننى لم أغير من هؤلاء الرجال أو أبدلهم؛ إن كل ما فعلته هو أننى هيأت لهم المناخ الطيب والظروف الجيدة وهنا تأججت نفوسهم وتوهج تحت النيران معدنهم الأصيل .

وكانت مهمتى فى سبيل ذلك هو أن أعيد الثقة للرجال برفع روحهم المعنوية وأنه إذا كانت الحرب امتدادا للعمل السياسى أو هى كما يقولون: «سياسة بالنار» **فليس معنى ذلك أن هناك خلطا** بين الإثنين فللسياسة رجالها وللقتال رجاله، ومن ثم فنحن عسكريون لنا واجب وأمامنا مهمة ومهارتنا تتمثل فى كيف نرفع من درجة استعدادنا وكفاءتنا القتالية، لا أن نتحدث بالسياسة وعِبَرُ التاريخ أمامنا شاهد يقول: إن السياسة عندما تدخل إلى الجيش تفسده».

القتال...... آن أوانه

ونواصل رحلتنا مع المشير أحمد إسماعيل.. فنجد أنه قد صدق فى كل كلمة قالها قبل الحرب وكان الانتصار ترجمة حقيقية لكل ما قاله سابقا وهذا يرجع لثقته الكبيرة، وإيمانه القوى، وخير شاهد على ذلك كلماته لجنوده ومن هذه الكلمات الكلمة التى ألقاها أثناء مروره على بعض القواعد الجوية الأمامية فى ٢٦/٧/١٩٧٣ وأشار فيها إلى أن إسرائيل لن تتحرك إلا بالقتال الذى آن أوانه وأننا سنجبر إسرائيل على الانسحاب من سيناء وسنرى ذلك بأعيننا فى القريب العاجل، كذلك فقد أكد ثقته فى بطولات أفراد القوات المسلحة وأوصاهم بالتدريب الشاق على مهام العمليات وأكد على شعار القوات المسلحة.. (**النصر.. أو الشهادة**).

وفى إحدى كلماته أيضا قبل الحرب بشهور قليلة قال: لتعلموا أن طريقنا شاق ويحتاج لجهد وعرق وإخلاص وتفان..

إن عهدنا لمصر هو أن ننتصر وسوف ننتصر بمشيئه الله وإرادته.

يالها من كلمات تحوى معانى كثيرة.. (إصرارا، تحديا، عزيمة، إيمانًا، ويقينًا بالنصر بإذن الله).

وتحضرنى هنا مقولة للمؤرخ المصرى / جمال حمدان والذى يذكر فى كلمته الإنجاز المصرى الذى تحقق بعد هزيمة يونيو ٦٧ فنجده يقول: (لقد بدأنا من نقطة الصفر بل من تحت الصفر، فارتفعنا إلى أكثر من النصف وإسرائيل انهزمت لأنها بدأت من القمة المطلقة، فهوت إلى ما دون النصف!!).

ونذهب لنقطة أخرى وهى حرص المشير أحمد إسماعيل على معرفة العدو وذلك بغرض فهمه ومعرفة كيفية بناء خطة تتلاءم مع عقليته...وقد كان.

●●●●●

اعرف....... عدوك

وبعد نكسة ٦٧ بالغ العدو فى الزهو بنفسه وتصوير العرب على أنهم جثة هامدة غير قادرة على الحركة وأن هناك فجوة حضارية كبيرة بين العرب وإسرائيل وتفوقًا تكنولجياً ضخمًا يعود للأخيرة . . . ودأبت أبواق الدعاية الصهيونية على ترديد هذه الأكاذيب وعن استحالة اقتحام قناة السويس وخط بارليف وكثرت الأقاويل على لسان قادتهم وزعمائهم بذلك والغرض من هذا هو تحطيم الإرادة العربية ومحاولة بث اليأس فى نفوس المصريين، معتمدين فى ذلك على مساعدات الأم الحنون (الولايات المتحدة الأمريكية) وكانت الحرب النفسية ولكنها لم تأت معنا بالنتيجة المرجوة لهم؛ لأنه على مرور الأيام بدأ المشير أحمد إسماعيل يعطى أوامره لجنوده المتخصصين بفهم العدو الإسرائيلى وأساليبه وبدأ رجالنا الأجلاء فى إعداد أنفسهم للقتال والتصدى لهذه الأكاذيب والإدعاءات الباطلة . . ومن

هذه الإدعاءات التى ترددت على لسان القادة الإسرائيليين ما يلى:

موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى: كان يقول بكل ثقة لوسائل الإعلام المختلفة: «إن عملية العبور المصرية إذا حدثت فلن تؤثر على قبضة إسرائيل الحازمة على خط بارليف الحصين وسيتلقى المصريون الرد الحاسم ، إنه خط لا يمكن اختراقه إننا أقوياء بدرجه تكفى للاحتفاظ بخط بارليف للأبد.

أما رئيس الأركان الإسرائيلى ديفيد أليعازر فقد كان يقول: إنه فى حالة التفكير فى العبور فإن ذلك سيكون مقبرة للجيش المصرى.

وكما قال الجنرال حاييم بارليف ـ رئيس الأركان السابق: إننى متأكد من أن مصر إذا استأنفت القتال فلن تتمكن من تحقيق أى عبور لاستحالة اجتياز خط بارليف ـ خط الدفاعات الإسرائيلية ـ المقام على امتداد الضفة الشرقية للقناة، كما أن قوتها لن تتمكن على الإطلاق من عبور قناة السويس بسبب ما

يشكله هذا الخط الحصين من خطر على القوات القائمة بالعبور).

وصدقت إسرائيل أكاذيبها وعاشت فى عالم من الخيال الذى لا يمت بأية صلة للواقع والحقيقة التى لا نمل من ذكرها ألا وهى أن القادة المصريين وعلى رأسهم (المشير أحمد إسماعيل) قد أخذوا يحللون هذا الكلام وغيره وبذلوا مجهودا ضخما حتى وصلوا لأعلى مستوى فى التخطيط والإعداد والتدريب ووصلت روحهم المعنوية لعنان السماء مهيئة نفسها لخوض معركة حتمية نستعيد بها الكرامة ، ويتحرر ما اغتصبه العدو فى حربه الخاطفة.

ولا نستطيع أن نغفل دور **حرب الاستنزاف** فقد كانت بمثابة **ميدان التجريب** الذى هدى قادتنا إلى شن **حرب أكتوبر بالطريقة** التى شنت بها.. وقد كان أحمد إسماعيل فى طليعة القادة الذين تمكنوا من تحويل الفشل الذريع الذى وقع فى يونيو ٦٧ ، إلى بدايات نجاح وبشائر صمود ونصر وحدثت نجاحات

أعادت الثقة إلينا ومنها (معركة رأس العش، إغراق المدمرة إيلات وغيرها).

إن النصر فى أكتوبر ليس وليد صدفة.

لكنه ثمرة جهد وعمل متواصل ليل نهار وإصرار وتحد وعزيمة وإيمان بالله؛ وبدراسة العدو ونفسيته بدأنا نعرف شخصيته أكثر ونعرف خصائصه ونفهم عقيدته فى القتال وفى الحياة وفى الدين وبالتالى وضحت الصورة أمامنا وعرفنا من هو هذا الجندى الذى نحاربه ونحن ندرك فى أعماقنا أن كل ما يبغيه هو أن يحيا ويتمتع بالحياة فقط . . والآن جاء دور الجندى المصرى الذى كان يقدره المشير/ أحمد إسماعيل ويعرف حقيقته جيدا ويفخر به وكان دائما ما يردد بفخر أن **الجندى المصرى أفضل من السلاح** . . وقد صدق فيما قال.

●●●●●

الجندى المصرى أفضل من السلاح

بشهادة الجميع.. القادة العسكريين والسياسيين.. زعماء وخبراء استراتيجيين مصريين وأجانب! وقبل كل ذلك (المولى عز وجل).

إن الجندى المصرى لا يقارن بأى جندى آخر فى العالم، فقد اختصه المولى عز وجل بسمات وقدرات جعلته يتفوق على نظيره فى أى مكان فى العالم... وعلى ذلك فإننا لا نستطيع أن ننكر أنه صاحب الانتصار الحقيقى فى أى حرب وأى انتصار مررنا به فهو يواجه الموت بشجاعة ولا يتوانى فى تقديم روحه فداءً للآخرين وللوطن ولذلك استحق أن يكون **(خير أجناد الأرض)**.

ومن هذا المنطلق اتفق **الفريق أول/ أحمد إسماعيل مع الرئيس البطل أنور السادات،** فى أن شجاعة الجندى المصرى يمكن أن تعوض مصر ما ينقصها من الأسلحة وأن كل أسلحة الدنيا لا تنصر الأرواح الضائعة وقد كان نداء (الله أكبر) فى المعركة أكبر سلاح له قوة الدبابات والطائرات والصواريخ ولهذا

الهتاف قصة كما ذكرها المشير/ أحمد إسماعيل فى أحد أحاديثه للجرائد المصرية بعد الحرب فها هو يقول: «لقد لاحظت عام ١٩٧٠ وأثناء تدريبات الجنود، الصيحة التقليدية للاقتحام هى هتاف المقاتلين ب «هاااااا» بصوت مدو كالرعد واقترحت أن يكون «الله أكبر» بديلا له معنى جليل ونعم البديل . غير أنه مع اتصال التدريب التى شغلت القوات بإحكامه فلم يكن هذا الهتاف ليوضع موضع التنفيذ والذى حدث لحظة العبور أن المقاتلين جميعا تذكروا فجأة نداء **الله أكبر** فراحوا يرددونه ويهتفون به تلقائيا ومن أعماق قلوبهم على امتداد جبهه طولها ١٧٥كم».

وأعود لحديثى عن الجندى المصرى ويحضرنى هنا ما ذكره المشير أحمد إسماعيل فى مذكراته وأجده يقول: «برغم ثقتى فى الجندى المصرى إلا أننى ركزت على وجوب الثقة فى كفاءة السلاح الذى فى يد القوات المسلحة ولم يكن ذلك مجاملة لأحد، والذى كان يهمنى هو، كيف يستخدم هذا السلاح بشكل فعال ومؤثر وقد أديت مع رجال مصر إلى تحقيق معادلة صعبة وهى (زيادة التدريب مع الاقتصاد فى الذخيرة والاستهلاك) وكان هذا يمثل قتالا صامتا مضنيا».

ويستكمل حديثه فى موقع آخر ويقول : وللحق فقد استجاب الرجال وتعاونوا معى بسرعة وبمنتهى الجدية خصوصا وأنه كانت تربطنى بمعظمهم أواصر زمالة سابقة، لمسوا من خلالها مدى جديتى وعزمى على بذل كل جهودى وأقصى طاقاتى للارتقاء بالكفاءة القتالية للوحدات والتشكيلات التى خدمت بها بالإضافة إلى جهودى عندما كنت قائدا للجبهة بعد عدوان ٦٧ ثم وأنا رئيس للأركان وكان لذلك كله أكبر الفضل فى دعم الثقة المتبادلة بينى وبينهم، فضاعفوا من جهودهم وكان عملهم أقرب إلى المعجزة، سيما وأنهم استشعروا دورهم المتعاظم - وخصوصا - وبعد قرار السيد الرئيس أنور السادات فى يوليو ٧٢ بإنهاء عمل الخبراء السوفييت وكان هذا القرار يعنى أن حتمية المعركة أصبحت فى عنق الفكر المصرى والساعد المصرى . . . كما أن ذلك كان معناه ثقة مطلقة من القائد الأعلى فى جنوده خاصة وفى القوات المسلحة بصفة عامة.

وبعد أن عادت الثقة للرجال وتم تدريبهم وبعد أن تمت دراسة العدو ومعرفة سماته ونقاط ضعفه وثغراته . . وبعد أن تم التدريب على السلاح السوفيتى المتاح للمصريين - ونحن نعرف أن السلاح الأمريكى الذى فى يد الاسرائيليين - متطور

عن سلاحنا وأكثر حداثة منه إلا أنه تبقى حقيقة صادقة وهى. **أن العبرة فى الرجل الذى يقف خلف السلاح** كما كان يقول **القائد العام والقائد الأعلى** فى ذلك الوقت ....، وبالرغم من ذلك فقد تم الحصول على معدات تكميلية ترفع من كفاءة هذه الأسلحة من دول أخرى وكذلك تم تطوير بعض هذه الأسلحة والمعدات بأيد وعقول مصرية مائة فى المائة.. ووضعت الخطط التى تكفل لنا أحسن أداء لأسلحتنا ومعداتنا ولم يقف الأمر عند ذلك فقط، بل بدأ الرجال فى كسب تأييد الدول الصديقة العربية والغربية وها نحن نرى الجولات التى قام بها القائد العام بتكليف من السيد رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة والذى سعى جاهدا إلى تنقية الجو العربى وإزالة ما علق به من شوائب كان يمكن أن تؤثر على هدفنا النبيل وكذلك خلق مناخا صالحا للمعركة وكان فحوى هذه الرحلات هو كسب التأييد السياسى والمعنوى. وكان الحديث مع القادة العرب يدور حول تأكيد حتمية المعركة وحتمية النصر فيها بأى ثمن.

ويذكر أن القائد العام قام بخمس زيارات لسوريا منذ الفترة التى عين فيها وزيرا للحربية وحتى قبيل الحرب بقليل.

وكان الهدف هو تنسيق جهود القوات المسلحة فى البلدين للقيام بعمل عسكرى مشترك فى إطار الاتفاق السياسى بين كل من الرئيس السادات والرئيس حافظ الأسد، وبهذه التحركات أصبح مسرح العمليات جاهزا للمعركة .. وصارت القوات المسلحة المصرية والسورية فى وضع الاستعداد النهائى.

ونعود لمذكرات بطلنا الراحل ونتوقف عند الخطة الشاملة والتى كانت تكفل حل جميع المشاكل والعقبات العسكرية وتؤدى فى نفس الوقت إلى تحقيق ما ذكره وهو:

١ـ مفاجأة العدو:

استلزم ذلك وضع خطة خداع استراتيجية وتعبوية وتكتيكية اشترك فى تنفيذها مع وزارة الحربية جميع الأجهزة المعنية بالدولة.

٢ـ اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف:

ويذكر المشير أحمد إسماعيل فى مذكراته ما يلى: (ومثلما تطلب اقتحام القناة دراسات متعددة ودقيقة لتحديد أنسب الوسائل وأفضل الأوقات التى تضمن نجاح تحقيق هذه المهمة فى أقصر وقت وبأقل خسائر، فقد تطلب تدمير خط بارليف

دراسات مكثفة وتدريبات عنيفة استخدمت فيها المعدات التى ابتكرها المقاتل المصرى وكانت - إلى جانب إصراره - سببا فى سقوط هذا الخط فى زمن قياسى مما أثار دهشة العدو وإعجاب رجال الفكر العسكرى فى أنحاء العالم - سيما وأن الاقتحام كان بالمواجهة..) وكان الهدف الثالث هو.

٣- تقليل أثر التفوق فى المدرعات والطيران لدى العدو... بالنسبة للمدرعات والكلام هنا يعود إلى (المشير أحمد إسماعيل) .... قررنا أن نمكّن الجندى من مواجهة الدبابة والتغلب عليها بشتى الوسائل خصوصا فى الساعات السابقة على الانتهاء من إقامة المعابر التى تعبر عليها مدرعاتنا وأسلحتنا الثقيلة ولقد نجح الجنود فى تلك المهمة وأصبح صمود الدبابات فى المعارك موضع تساؤل ودراسة.. أما بالنسبة للتغلب على تفوق العدو فى الطيران فكان السبيل إلى ذلك تحقيق أمرين:

١- تقييد القوة الجوية للعدو، بإنشاء حائط الصواريخ الذى يغطى ضفة القناة كلها، وكذلك فى عمق سيناء مباشرة بمسافة لا تقل عن (خمسة عشر كيلو مترا).

٢ـ أن يتم التعاون الكامل والدقيق بين قوات الدفاع الجوى بشبكة صواريخه وقواتنا الجوية بطائراتها بحيث يتمكن الإثنان معا وبتنسيق بينهما ، من مواجهة طائرات العدو.

وقد نجح هذا الأسلوب لأقصى حد **وفقد العدو توازنه وميزة تفوقه الجوى منذ الساعات الأولى للحرب)**. . . . وقد كانت **الضربة الجوية الناجحة والعظيمة** والتى بدأ بعدها فى فتح باب القتال والثأر لباقى الأسلحة الأخرى. . .

والحقيقة أنه لم تكن هذه المشاكل هى فقط التى قابلت رجالنا، بل وجدت مشاكل أخرى عديدة سنذكر بعضا منها فى الصفحات القادمة بإذن الله. .

وأجدنى مشدودة للعودة مرة أخرى لمذكرات المشير أحمد إسماعيل والتى يذكر فيها ما كان يركز عليه السادات فى اجتماعاته بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة وبصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة وكان يركز على ثلاثة عناصر هى:

١ـ الثقة المطلقة فى القوات المسلحة فكراً وقيادة وأداء.

٢ـ مسئوليته التاريخية لمعركة التحرير والمصير.

٣ـ تحذيره من اتباع النمطية فى التخطيط والتنفيذ.

ومما أعرفه أن **النمطية** كانت من أشد ما يكرهه المشير أحمد إسماعيل أيضا فهو دائما ما كان يدعو رجاله إلى **الابتكار والإبداع سواء** فى التخطيط أو فى التطبيق التكتيكى للنواحى الفنية .... وعلى هذا فإنه اتفق مع الرئيس السادات فى هذه النقطة كاتفاقهما فى نواح أخرى متعددة.

وأعود مرة أخرى لمذكراته وأجد أنه قد أشار إلى أن الخطوط العريضة والأساسية والتى تم رسمها لخطة الحرب كانت واضحة منذ البداية وكان كل شىء يمضى ويسير وفق أحدث الأساليب العلمية والعالمية.. ويذكر أنه هو والقادة المصريون العظماء كانوا يسيرون وفق ثلاثة محاور رئيسية هى:

١ـ رفع كفاءة الخطة الدفاعية عن البلاد وما يستلزمه ذلك من تجهيزات وإمكانيات.

٢ـ وضع الخطط لردع العدو إذا ما حاول بغدره المعتاد ـ أن يعتدى علينا.

٣ـ وضع الخطة الشاملة للمعركة الهجومية المنتظرة.

وبالرغم من تعارض هذه المحاور ـ أحيانا ـ إلا أنه وبفكر مصرى خالص استطاع الرجال تنفيذ المهام بكفاءة عالية وعبروا

مرحلة الاستعداد إلى مرحلة الاقتحام الدموى والتى جعلتنا نتبوأ مكانة عالية فى وسط مجتمع عالمى راح يشيد بما حققناه ويعاملنا كقوة مؤثرة لها حسابها فى موازين العالم كله.

وقبل أن أترك هذه المذكرات الغالية لابد أن أشير إلى ماذكره عن الثغرة فأجده يقول بعبارات موجزة كانت هى أبلغ رد حول هذه الواقعة: «الثغرة هذه ما هى إلا عملية تسلل فيها العدو إلى غرب القناة ـ فى استعراض مسرحى ـ حاول بها أن يحدث ارتباكا فى تفكيرنا وأن يستخدمها ـ كذلك ـ كورقة رابحة فى الضغط السياسى... والحقيقة أن العدو نجح فى الوصول إلى غرب القناة وانتهز فرصة إيقاف إطلاق النار ليتوسع وينتشر وليسهب فى الطنطنة والدعاية التى يجيد استخدامها بأنه اخترق القوات المصرية فى عقر دارها.. ولكن ما قيمه العمل، أى عمل ـ خصوصا على المستوى العسكرى ـ أنه لا يقاس بتنفيذ الفعل ولكن بالإجابة على سؤال محدد: ما هى النتيجة النهائية لهذا الفعل؟؟.

ولو طبقنا هذا على الثغرة لوجدنا الإجابة فى صالحنا.. إذن من الذى كان فى مأزق؟ قواتنا المنتصرة فى سيناء؟! أم قواته المحدودة والمحاصرة ؟! يستكمل رده ويقول: يكفى القول

بأن الخطة كانت جاهزة تنتظر إشارة البدء لتصفية هذا الجيب وكان العدو فى تلك الأثناء ينزف كل يوم من دمه ما لا يتحمل أو يطيق.

إن الفترة من ٣٠ أكتوبر ١٩٧٣ أى بعد يومين من وقف إطلاق النار و٨ يناير ١٩٧٤عندما وقّع اتفاق الفصل بين القوات شهدت وحدها حوالى(٤٣٩) عملية عسكرية ضد العدو فى الثغرة... هل كان ممكنا أن يحدث هذا لو لم نكن فى مركز قوة.. وهو فى مركز ضعف؟ وهل كان يمكن أن أصدر أوامرى بحرب استنزاف ضده لو لم أكن متأكدا من مصدره؟ هذه هى حقيقة العدو.. لقد كان فى مأزق ولم يكن أمامه فى سبيل الخروج من هذا المأزق... إلا أن ينسحب... وانسحب».

وها نحن نختم هذا الفصل والذى كان مبنيا على مذكرات البطل الراحل وفيه يستعرض كل الحقائق بأسلوب بسيط وصادق وواضح.. وننتقل لفصل آخر.

●●●●●

الفصل الثالث

(المشير أحمد إسماعيل فى عيون الزوجة)

ها نحن نترك الفصل الأول وما به من مذكرات بطلنا الرائعة والقليلة والتى تنضح بالصدق والوضوح والبساطة والتلقائية... إلخ... فى كلماتها الموجزة... ونذهب للزوجة ورفيقة رحلة العمر والتى رحبت بلقائي منذ الموعد الأول ولم تَضِنّ علىّ بشيء، واستقبلتنى فى فيلتهما البسيطة والرائعة والتى أخذت استنشق الهواء فيها مع عبق التاريخ الجميل وذكريات العمر الجميل... ولولا أننى حاولت الاختزال والإيجاز فى كتابى حيث إننى أتناول سردا لشخصية البطل والوقوف عند أهم محطات حياته ولو أننى تركت العنان للقلم ليكتب كل ما يسمع وللقلوب لتروى كل ما تعرفه وللعقول لتستوعب وتحلل ما تقرأه... وأكثر من هذا فسأجد نفسى تكتب كتبا وأسجل موسوعات لا أستطيع أن أسيطر عليها وألملمها ـ وربما أمكن ذلك فى مرحلة مقبلة أستطيع عمل هذا... أما الآن فلا.. وحتى لا أطيل عليكم دعونا ننتقل لموقع آخر من الكتاب حيث الزوج أحمد إسماعيل كما تراه الزوجة السيدة سماح الشلقانى

بعيونها ومن خلال لمحات بسيطة ومواقف صغيرة لم يستطع الزمن أن يمحوها من الذاكرة فهى حية تنبض فى الوجدان وتستقر فى القلب وهى محفورة فى الذاكرة تعيش معها نبضا بنبض.

فى بداية رحلتى لإعداد هذا العمل قررت أن أتجه لطرق باب الزوجة (سماح الشلقانى) حيث التعرف على ملامح شخصية المشير أحمد إسماعيل.. الإنسان والنصف الآخر الذى لا يعرفه أحد وأعتقد أننى أصبت الهدف.. وألتقى بها وأتركها تسترجع ذكريات الزمن الجميل.. وتركت لها العنان لتتحدث فيما تريد، وكلما كان يقفز فى عقلى تساؤل أو استفسار كلما كانت تجيب عنه بصدر رحب وابتسامة بشوش ـ بالرغم من مرضها ـ شفاها الله.

وأترك القلم يكتب ـ على لسان الزوجة ـ خلاصة لقائها الجميل معى وها هى تقول: منذ عام ١٩٦٧ والبيت فى حالة استعداد للحرب.. فهو كان يؤمن بضرورة استعادة حقوقنا عن طريق الحرب.. وكان يؤمن بقيام حرب يقاتل فيها الجندى المصرى قتالا حقيقيا حتى يسترد كرامته.. وكان حريصا على قواته وسلامتهم وتذكر أنه قال ذات مرة: (كنت أعرف جيدا

معنى أن تفقد مصر جيشها، إن مصر لا تحتمل نكسة ثانية، وإذا فقدت مصر جيشها فعليها الاستسلام لفترة طويلة).

وتذكر أن كل ما كان يشغل باله هو العمل والاستعداد للحرب، أما نحن أى (هى والأبناء) فنأتى فى المرتبة الثانية بعد عمله وتبتسم وهى تتذكر رجاءها له بأن تخرج معه تتأبط ذراعه فى أية نزهة .. تذهب مثلا للسينما، فكان يعدها بذلك بعد إزالة العدوان واستعادة الكرامة، وطبعا هذا لم يحدث !.. وتقول: بعد انتهاء الحرب والانتصار الرائع كنت أتوقع أن يفى بوعده.. ولكنى كنت واهمة، فها هو يعد ويرسم الخطة الخامسة للحرب (على فكرة هذه الخطة موجودة عندى) فقد كان يراوده إحساس بضرورة نشوب حرب أخرى حتى نستعيد كل شبر محتل فى أراضينا...

وتسترجع لحظة عودته لصفوف القوات المسلحة مرة أخرى واختيار الرئيس السادات له بأن يكون وزيرا للحربية وتقول: لما قبل العودة «ده» كان قرار فى منتهى الشجاعة فالجميع كان يخشى الفشل .. والعودة هنا لم ترتبط بإغراء المنصب فقط بل ارتبطت باتخاذ قرار الحرب ـ يعنى الإثنين معا ـ ومن هنا يظهر مدى شجاعته ومدى ثقة الرئيس السادات فيه وفى عقليته

العسكرية ...... وتضحك وهو تتذكر مداعبة الرئيس السادات له حتى وهم فى أصعب المواقف - فقد كانت العلاقة بينهما قوية وتقول : قبل الحرب لم يكن يتحدث معى فى أى شيء عن عمله أو عن حواراته مع القادة.... إلا بعض الأحاديث البسيطة التى لن تضر.. ولكن بعد الانتصار بدأ يحكى لى وللآخرين عن بعض المواقف ولأنه رحل وقابل وجه ربه بعد فترة بسيطة من الحرب فإننى أعتقد أنه رحل ورحلت معه ذكريات كثيرة لم يمهله القدر ليذكرها لنا.

وسرعان ما تتذكر موقفًا آخر وتبتسم وهى تحكيه وتقول: لا أنسى أثناء الإعداد للحرب فقد كان الرئيس دائم الزيارة لمنزلنا وخاصة فى أواخر الليل.. وكان يأتى والخير معه!! فقد كان يحمل معه لفائف وأشياء كثيرة أثناء الزيارة لنا والجيران كانوا يشاهدونه وهو يدخل منزلنا ومعه من يحمل هذه الهدايا الكثيرة لنا وكانوا يحسدوننا على هذه اللفائف... والحقيقة أن هذه اللفائف ما هى إلا (أدوات الشغل..) ففيها ما يخص الإعداد للحرب من خطط ومعلومات... إلخ؛ وقد أحضرها معه حتى يتشاوروا ويعدوا لها.. فلماذا إذن كنت أقول للجيران؟ - وكنت ألتزم الصمت - هدايا.. هدايا... والصيت

ولا . .

وننطلق لمحطة أخرى هامة فى حياته مع سيادة المشير أحمد وهى الزواج.

فأجابت بلا تفكير:

الزواج كان تقليديًا . . فشقيقته الكبرى صديقة لأمى. وكانت أمنية حياتى أن أتزوج ضابطًا . . وكنا بنتين فقط . . والدى كان طبيبًا ناجحًا ومعروفًا ولكنه توفى مبكرا فعكفت أمى على تربيتنا . . . وعندما أتى وقت الزواج لأختى الكبيرة، فإن أمى قامت بإعداد حفل زفاف ضخم فى بلدنا وقد كان حفلا هائلا حكى عنه الصغار قبل الكبار . . ومن خلال هذا الحفل بدأ يتوافد لمنزلنا العرسان طلبا ليدى . . وقد كان هو من ضمن من تقدموا لخطبتى . . وكان النصيب . . وافقت عليه وفرحت به «وحبيته» . . تزوجت فى سن مبكرة جدا فعمرى كان (١٤)عامًا فقط . . وتركت التعليم . . وكنت فى الوقت ده بأدرس فى المدارس الفرنساوى . . ولكن سرعان ما عدت للدراسة ولكن بعد فترة من الزواج . . وأخذت دروسًا بالجامعة الأمريكية ودرست لغات ومواد مختلفة.

وعلى فكرة كان زوجا حنونا جدا فكان يخشى علّى نظرا لسنى الصغيرة وقلة تجاربى.. ولأن الفارق بيننا كان (١٠ سنوات) فإنه كان بمثابة الزوج والأب والمعلم ولأنى كنت زوجة مطيعة فهو شكلنى كما يريد ، ولكنى كنت سعيدة بهذا التشكيل وعلى ذلك فقد نشأ بيننا نوع من التفاهم والانسجام والحب.

*** أعلق بأننى أعرف أنها شخصيته قوية وسيدة مجتمع لها كلمة ودور واع فتقول:**

أنا قويت بعد الزواج بفترة لأنه كان لازم أبقى كده عشان المسئولية ولما بدأ يثق فى،فقد بدأ يلقى على عاتقى مسئولية الأبناء والبيت، وبالتالى كان على اتخاذ قرارات ، فكيف إذن أواجه الحياة وأنا زوجة صغيرة وأم لخمسة أبناء وزوج كان يقضى أغلب وقته فى العمل أو الدراسة والسفر ولأنه هو الذى علمنى.. فإن قراراتى كانت امتدادا لقراراته، وإن اختلفت مرة، **فكان الحوار لغتنا.**

*** ولما انتقلنا لنقطة أخرى وسألتها هل كان يفصل بين عمله وبيته؟** فأجابت: نعم كان بيفصل.. فى أوقاته القليلة معنا كان يعلم الأولاد،ويسأل عن سلوكهم ومستواهم الدراسى،

بس مبادئه وطباعه الجادة الملتزمة، فكانت واحدة ودائما ما كان العمل هو المنافس الأول لى وللأولاد ولأنى زوجة مطيعة . فكنت ألتزم بذلك ولا أتذمر. وبالتالى كان علىّ إدارة البيت والاهتمام بالأولاد، ولكن كانت توجد قرارات لم أستطع أن آخذ فيها موقفا، وبالتالى كان على الرجوع إليه لحلها. . . وعلى فكرة هو كان يقدّر الدور الذى أقوم به والحقيقة أننى أستمد منه ـ كما قلت ـ كل شىء. . الإدارة ، القوة، النظام، وقبل ذلك أدركت معنى المسئولية . . وتلمع دمعة بعينيها وهى تقول: أتذكر آخر مرة سافر فيها للعلاج، وعندما كان الأبناء مجتمعين لوداعه، فإنه اعتذر لهم عن تقصيره فى حقهم. . وترك المسئولية علىّ ولكنه أشار لمدى ثقته فى، وفى الدور الذى قمت به فى وجوده وفى غيابه حتى لا يشعروا، بأى تقصير، وربت على يدى وشكرنى بلسانه وبعيونه. . **ثم تخرج بذكاء من تذكر هذا الموقف المؤثر** ، وتقول : على فكرة زوجى، كان حازما جدا فى علاقاته، وله ضوابط حتى فى تربيته للأبناء ومن أشهر مأثوراته. . . **(لا تعمل عملا لو سئلت عنه خجلت منه)** والأولاد طبعا ورثوا منه كل طباعه ومبادئه وتعبوا كثيرا فى مواجهة حياتهم فى مقتبل أعمارهم، وهم

يطبقون هذه المبادىء، لكنهم، رغم ذلك ما زالوا يتمسكون بها ويعلموها لأولادهم.. وتتذكر واقعة لطيفة تذكرها أثناء تقويمه لسلوك أحد الأبناء ، ولكن بنوع من الحكمة ، والرزانة ، فتقول :.... فى فترة من الفترات ظهرت موضة الشباب لتطويل الشعر.. وقام أحد الأبناء بتقليد هذه الموضة، وشاهده يوم الجمعة قبل الصلاة ـ فما كان منه إلا أن قال له: محمود... أكيد أنت نسيت تفوت على الحلاق النهارده.. وتركه وانشغل بأمر آخر، فما كان من ابننا إلا أنه خجل وانسحب بهدوء وذهب وقص شعره كالمعتاد).

* **وسألتها عن أحب الألقاب إلى قلبه فأجابت:** أى لقب عسكرى حصل عليه فى القوات المسلحة كان يفخر به، وكانت الفرحة الكبرى ، عندما رقى إلى مشير وكان يفخر بذلك، ومعنى (مشير) (مرشد الصحراء).

* وسألتها عن أكتوبر وسر علاقته به فأجابت : أكتوبر ده من أكثر الشهور ارتباطا به .. ففيه ولد.. وتزوج.. وعاد للخدمة ... وحارب.. ورقى لرتبة المشير... وانتصر.... .

* **ولما وجهت إليها السؤال عن هواياته وأصدقائه أجابت**

السيدة الفاضلة: هو كان بيحب حاجتين ، كرة القدم، والقراءة... بس ما كانتش عنده وقت للكرة ولكنه كان يقضى وقت فراغه القليل، فى القراءة وشغله برضه كان فارض نفسه فكان يقرأ فى العلوم العسكرية وفنون الحرب والقتال... أما أصدقاؤه فلم يكن عنده وقت لتكوين صداقات خارج عمله. وبالتالى كان يعتبر أى فرد في القوات المسلحة من القادة والجنود أبناء وأصدقاء وأخوة له والكل كان يحبه، بغض النظر عن بعض الشخوص القليلة... والسبب كان هو عدم وجود تقارب فى وجهات النظر، وليس كرها فى شخصه.. بس أهم أصدقائه هم (الرئيس جمال عبد الناصر دفعته، والرئيس أنور السادات ـ زميله فى المدرسة الثانوية قبل أن يكون زميلا له فى الحربية فيما بعد، وقد كانوا متفاهمين جدا وهذا سر نجاحهم فى الحرب وقد كنا نتزاور عائليا ونحضر حفلات زفاف أبنائنا، أما من أصدقائه الموجودين الآن بيننا فاللواء/ حسن الجريدلى(**وهو من القادة العظام الذين سوف ننقل ما قاله ورواه عن المشير أحمد بكل صدق وحب ـ أثناء مقابلتنا له فى الصفحات المقبلة).**

*** سألتها هل كانت رغبته هو فى دخول الحربية أم كانت**

رغبة والديه؟ فأجابت:

طبعا رغبته من صغره وهو يعشق الحياة العسكرية، وكان يتمنى أن يصبح ضابطا. وتولدت هذه الرغبة عندما كان يدرس بالمدرسة الثانوية بشبرا، وكان يمارس كرة القدم.. وهى المدرسة التى تعرف فيها على الرئيس السادات ووجد أن الآخر يشاركه هذا الحلم.. وتقدم للكلية الحربية ولكنه فشل فى القبول فالتحق بكلية التجارة.. وحلمه هنا لم يخبء فقد تولدت الرغبة مرة أخرى لديه وخاصة كلما ذهب مع زملائه لإقامة مباريات فى الكلية الحربية... وتفاجئنى هنا بقولها إن المشير أحمد إسماعيل قد قدم أوراقه للكلية ثلاث مرات، وكل مرة باءت بالفشل، وكادت أن تقضى على حلمه بالالتحاق بالكلية الحربية، إلا أنه قد حدثت المعجزة، وفتحت الحربية أبوابها فى عصر وزارة الوفد عام ١٩٣٧، وفى هذه المرة تم قبوله فى الكلية، وترك كلية التجارة مخلفا وراءه ثلاث سنوات من الدراسة بها.

وأخذ يتقدم بالدراسة ، وحقق نبوغا ملحوظا، وما من دراسة، أو دورة ، أو مسابقة عسكرية إلا وحقق مراكز متقدمة فيها، هذا إن لم تكن المراكز الأولى، وبعد تخرجه أخذ يتولى

المناصب القيادية، ويعتبر من القلائل الذى تدرج فى المناصب العسكرية من قائد فصيلة إلى قائد جيش وقائد عام للقوات المسلحة ويذكر أنه فى أحد الصراعات التى حدثت له فى مقتبل عمره العسكرى؛ عندما تقدم لاختبارين فى وقت واحد وهما اختبار لتأهيل دورة أركان حرب، والأخرى لبعثة إنجلترا، وكعادته فاز بالمركز الأول فى الاختبارين.. وكان عليه الاختيار.. وبعد تفكير ومشاورات معى ومعه، قرر اختيار دورة أركان حرب.. وهذه كانت أيضا رغبتى، **فهو يعشق التدريس... وأنا كنت لا أريد أن يتركنى، ويتغرب عنا عددًا من السنين.**

*** قفز لذهنى سؤال حول وفاته ومرضه فقالت:**

أحمد قبل وفاته وبعد الحرب بفترة، مرض مرضا شديدا... ولأول مرة يكاد يلزمه الفراش ويتأوه من الألم، ويرفض الاستسلام للمرض. فهو دائما كان قوياً، شجاعًا، يواجه كل شىء بصبر وإيمان وتحد حتى المرض والموت، هو يابنتى اللى عمله ده كان شوية؛ ده كان فيه تعب وجهد وإرهاق وعدم استقرار وتفكير وقلة نوم وتوتر وقلق، كل ده تعبه زيادة، لكنه لم «يشتكى»... البيت كان غرفة عمليات، وغرفة النوم

كانت سويتش للتليفونات التى لا ينقطع رنينها طوال تواجده بالمنزل من أجل الخلود للنوم سويعات قليلة.. ولكن كيف وهو بجوار فراشه خمس تليفونات يتابع من خلالها حال ومواقف القوات المسلحة ده كان لا يهدأ له بال ولا يطمئن عندما كان يقود الجنود بأية عملية فدائية.. إلا بعد تنفيذ العملية بنجاح وعودة الأبناء بسلام... وكم كان يحزنه جدا لو أصيب أى فرد بأذى أثناء تنفيذ العملية.

هو كان عارف كل جنوده بالاسم وكان يشاركهم حياتهم العسكرية ويزور معسكراتهم تحت الأرض ويشاركهم طعامهم ـ دون تمييز ـ فكان يؤمن بأن (الجندى المقاتل هو أثمن سلاح فى المعركة)... وكان لا يقلل من دور أى فرد وكان ينظر للجندى على أنه (مثل ترس الساعة الصغير لو حدث له أى شىء وتعطل، تعطلت باقى التروس الكبيرة والعقارب وتوقفت الساعة).

وكان يقول: (الفرد يقاس بعمله لا بحجمه).

*** لما جينا نتكلم عن أصله وجذوره العائلية فاجأتنى بمفاجأتين هما:**

المشير ولد لأسرة مصرية عريقة ولكن لو بحثنا عن الجذور سنجد أنه ينتسب لجذور تركية.. ولكن من جهة أمه.. هذه هي المفاجأة الأولى.. أما الثانية وكانت أهم من الأولى بمراحل وهذا يرجع لشرف النسب العظيم.. فقد أخبرتنى أنه ينتسب للشجرة المباركة فهو من نسل النبى محمد ﷺ للإمام الحسين (رضى الله عنه).. وأخبرتنى أنها سترينى الصك الذى يثبت هذا النسب.

وتتذكر هنا واقعتين مضحكتين فتقول: « بالنسبة للأتراك فإنه عندما كنا نتحاور فى موضوع ما.. وأجده متمسكا برأيه ولا يتنحى عنه.. فكان يداعبنى قائلا: أصلك مش من أصل تركى زيى.. أما الواقعة الثانية، وهى خاصة بالأشراف، فقد كانت لديهم عادة وهى إرسال - عشرة قروش - كل عام لكل من ينتمى للنسل الشريف، فكنت أسخر من المبلغ القليل الذى يرسلونه لنا كل عام من السعودية لمصر وأتساءل كيف أنهم ينفقون نفقات أكثر منه فى الشحن وغيره فما كان منه إلا أن يقول (دى... بركة.. تذكار مبارك.. حافظى عليه..) وكان يقول: أنت زعلانه عشان قليل، ولا عشان لا تنتسبى للنسب الشريف....).!!.

وتذكر أنه كان يقيم مع أسرته بالقاهرة ووالده كان يعمل فى سلك البوليس وأخذ في الترقى حتى أصبح مأمورا بأحد أقسام الشرطة ثم مأمورا لضواحى القاهرة وله من الأخوة الذكور إثنان الأول يكبره باثنى عشر عامًا والآخر يصغره بعامين أو أكثر كذلك له خمس أخوات إناث... وجميع عائلته شغلت وظائف هامة ومحترمة.

*** ونأتى لشجرة عائلة السيد المشير الصغرى وهى أبناؤه:**

فتقول رزقنا الله بخمسة أبناء ولدين وثلاث بنات وهم:

د/ محمد وهو سفير بوزارة الخارجية.

ود/ محمود سيف وهو طبيب جراح بجامعة القاهرة وتذكر أنه دخل الكلية الفنية ولكنها رغبة منها فى أن يكون طبيبا مثل أبيها بالإضافة إلى أنه كان يخشى من أن يصبح ضابطا.. ويقضى حياته كلها فى العمل وعلى الجبهة.. فإنه سرعان ما تركها والتحق بكلية الطب... وطبعا والده كان غاضبا ولكنه لم يفرض رأيه عليه فهذا مستقبله.

و(سها) وهى مدير عام.

و(نرمين) مترجمة بمجلس الشعب وتمتلك إحدى المدارس

الهامة بمدارس مصر.

و(دينا) تحب أيضا العمل التعليمي وتمتلك إحدى المدارس المشهورة وتشرف عليها والجميع حاصل على ماجستير أو دكتوراه فنحن عائلة نقدّر العلم والمعرفة.

*** بعد أن تركنا شجرة العائلة سألتها: هل ظلم السيد المشير فى حياته! فتجيب:**

طبعا اتظلم وأكثر من مرة.. لكنه لم يتكلم وكان صاحب مبدأ وعنده كرامة وكان يشعر أن حقه سيعود له مهما طال الزمن ـ وقد كان ـ ومن هذه المواقف:

قد أعفى من منصبه مرتين وليس مرة واحدة.

الأولى: كانت مدتها ٢٤ ساعة فقط وبعد (نكسة ٦٧) مباشرة. ولكن سرعان ما يصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بعودته مرة أخرى.

والثانية: الكل يعرفها.. وهى حادثة الزعفرانة.

وظلم مرة أخرى من الفريق أول (محمد فوزى).. وذلك عندما شك فيه الفريق وظن أنه يقوم بتحريك وتقليب القوات ضده.. وهذا غير حقيقى.. وأثبتت الأيام براءته من ذلك

حتى الفريق أول/ فوزى أدرك مدى ظلمه له ولا أنسى يوم تبدلت الأمور.. وأصبح أحمد وزيرا للحربية.. وعرف أن السيد الفريق أول مريض وبالمستشفى.. فما كان منه إلا أن قام بزيارته وتناسى ما فعله الآخر به... وهنا بكى الفريق أول/ محمد فوزى.. وأصر على أن يقوم بتوصيل أحمد من غرفته حتى باب المستشفى.

وغيرها من المواقف.. بس هو كان يؤمن بـ(العفو عند المقدرة).

*** ولا أنسى هنا أن أسألها عن حقيقة ما تردد من وجود خلاف بين الفريق الشاذلى والسيد المشير أحمد.. فتجيب باستنكار:**

لم يوجد خلاف أو مشادة.. كل الموضوع اختلاف فى وجات النظر.. وخاصة فى الكونغو وعند حدوث الثغرة!.

نترك الخلافات وأسألها ـ مدام سماح.. **هل تشعرين أن السيد المشير أحمد أخذ حقه من التكريم؟!!**

فتجيب بلا تفكير.. المشير أحمد، كرم من الرؤساء المصريين ،بعض الزعماء العرب وغيرهم وكذلك قادة القوات

المسلحة الذين يسألون عنا باستمرار ويلبون احتياجتنا ويتذكروننا فى المناسبات المختلفة والحقيقة أنه كلما التقيت بأحد هؤلاء القادة فإنهم يذكروننى به ويذكروا أنهم كانوا تلاميذ وجنودا عنده ومعه، وكذلك لا أنسى تكريم السيد الرئيس محمد حسنى مبارك له وذلك بالسؤال علينا وكذلك السيدة الفاضلة سوزان مبارك والتى لا تتأخر عن تلبية دعواتى لها لمنزلنا ومشاركتهم لنا فى المناسبات المختلفة **وأيضا دعواتها لى باستمرار فى منزلها وكذلك اختيارها لى ولبناتى للمشاركة معها ومع السيدات** الفاضلات من نساء المجتمع فى الأعمال الإجتماعية والخيرية..

وبالرغم من ذلك فإننى أعتقد أنه لم يأخذ حقه من التكريم المناسب!!. يمكن عشان أنا زوجة تحب زوجها وتفخر به وبأعماله فإننى أقول ذلك.. والحقيقة أننى أبحث عن تقدير آخر.. وهو أن يُعْرَفَ أكثر، وأن تعرفه الأجيال الجديدة وتعرف من هو المشير أحمد إسماعيل وما هو الدور الذى قام به وأن ينسب له ما فعله وألا يسقط من التاريخ.. كم أنا سعيدة بأن فتاة فى سنك تسعى لعمل كتاب عنه حتى تعرفه الأجيال الشابة والمقبلة.... (وأقترح أن يعمل له تمثال على غرار الزعماء والعظماء والرموز المصرية العظيمة أو تقام له محطة مثلا...).

* أعترف أن التمثال أو إطلاق اسمه على محطة ليس بالتقدير الكافى الذى يستحقه ولكنه سيجعل الجميع يتساءلون من صاحب هذا التمثال أو هذا الإسم!!

والفكرة بالطبع متروكة لأصحاب القرار ـ (رأى الكاتبة).

وتركتها تنهى الحديث قائلة:

المشير أحمد إسماعيل ده رمز كبير، ومهما قلت عنه فلن أوفيه حقه كزوج وأب وقائد. . ألا ترين أننى وبعد ثلاثين عاما مضت على رحيله ما زلت أرتدى الملابس السوداء ، صحيح الحزن فى القلب ولكنى لم أستطع أن أغير اللون بعد وفاته وكأنه يربطنى به، وأشعر أنى «مفتقداه» بالأمس، كذلك لم أغير أى شىء بالمنزل من أثاث منذ وفاته، إلا من أشياء بسيطة بحكم عامل الزمن ورغبة الأبناء فكل شىء يذكرنى به فهو مازال يحيا معى ومازلت أحيا به وبالرغم من انشغالى بأبنائى وأحفادى والعمل الاجتماعى إلا أننى مازلت أشعر بفراغ من غيره.

وقبل أن ألملم أوراقى سألتها: مدام سماح... لو أن المشير أحمد بيننا الآن ماذا كنت تقولين له؟ فأجابت: لو كان موجودا بيننا؟؟ كنت سأقول له ربنا يخليك لينا.. فأنا فخورة ومؤمنة به وبمبادئه وأفكاره.

ولم أجد فى نهاية حديثى معها إلا أن أشكرها على مقابلتها الثرية الرائعة وأعتذر لها على أننى أرهقتها بالحديث. فأجابت بأسلوبها الأرستقراطى الراقى بأنها لا تشعر بأى تعب عندما تتحدث عنه وأنها تود الحديث عنه دائما ولا تتوقف عن ذكر كل ماضيها الجميل معه ... وأعطتنى كتابا رائعا عنه لعلىّ استرشد به فى كتابى وأحصل منه على معلومات أخرى لم تذكرها لى ورحبت بزيارة أخرى أحصل من خلالها على الصور الخاصة بالسيد المشير والصك الذى ينسبه للأشراف والإجابة على أى تساؤل آخر وما كان لى فى نهاية اللقاء إلا أن أتقدم لها بالشكر والدعاء لها بالصحة.

●●●●●

الفصل الرابع

المشير/ أحمد إسماعيل فى عيون زميل

العمل والانتصار ورفيق الرحلة

وبعد أن تركت الزوجة وشريكة العمر، اتجهت إلى أكْثَرِ مَنْ زَامَلَ المشيرَ أحمد إسماعيل لمدة ربع قرن من الزمن ولم يفارقه فيها أو يقطع اتصاله الدائم به وهو اللواء أ ح/ حسن الجريتلى أحد الرجال العظام والذى شارك فى حروب متعددة وكان آخرها حرب أكتوبر المجيدة والذى نجد أنه لا يخلو مرجع أو كتاب عسكرى من ذكره أو الاسترشاد به والتعليق على الأحداث من خلال رؤيته الاستراتيجية وخبرته العسكرية الطويلة الثرية.

فهو سكرتير عام وزارة الحربية إبان حرب أكتوبر وقد تدرج سيادته فى المناصب القيادية حتى عين رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة.

ومنذ خروجه من الخدمة وحتى الآن، لم تنقطع علاقته بالقوات المسلحة فهو يدعى لإلقاء المحاضرات فى كليتى الحرب

والدفاع الوطنى بأكاديمية ناصر العسكرية العليا ويشترك فى معظم البحوث العسكرية المقدمة للقوات المسلحة ويستعان به كخبير استراتيجى يحلل ويعلق على الأحداث.

أطال الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية.

واتجهت إلى اللواء أ ح/ حسن الجريتلى وقبل أن أطرح أسئلتى تركت له العنان ليتحدث عما يريده.... وكان حديثه مليئا بالصدق والبساطة والعفوية والحب والتلقائية المحببة وممزوجا بخفة ظل وروح مرحة ـ يحسد عليها ـ وتحدث وكأن غبار الزمن لم يترك أثرا على ذاكرته القوية وأخذ يتحدث وكأن شريط الذكريات يمر أمامه وحاول أن يلخص لى رحلة طويلة وشاقة لكنها من أجمل رحلات العمر التى قضاها برفقة زميل وصديق من الزمن الجميل وأخبرنى بالآتى:

لو أننى بدأت الحديث عن السيد المشير أحمد إسماعيل ـ رحمه الله ـ فلابد أن أذكر سبب معرفتى به وصداقتى له وتزاملى معه.. فهى علاقة قوية ومعرفة ثرية أعتزبها وأقدرها كل تقدير... تستطيعين أن تقولى إنها تجاوزت كل معانى الصدق والاحترام والتلمذة ... إلخ ولا أستطيع أن أنكر أنه صاحب الفضل على فى مسيرة حياتى بعد الله ـ عز وجل ـ

فأنا أعتبر نفسى أحد تلاميذه، فمنه تعلمت ومعه خدمت وعشت معه وزاملته فى أماكن كثيرة وأوقات مختلفة.

وبداية معرفتى به نشأت عندما كنت أعد وأجهز نفسى لمسابقة الالتحاق بكلية أركان الحرب، ووقع فى يدى كتاب قيم لمؤلفين نابغين هما (أحمد إسماعيل، وحافظ إسماعيل) ـ تشابه فى الاسم فقط وليسا شقيقين والآخر هو مستشار الأمن القومى للرئيس السادات فيما بعد، ورأيت أن هذا هو أول كتاب أقرؤه وأجد متعة رائعة أثناء تواجدى معه، من حيث سلاسة الأسلوب وغزارة المعلومات والأسلوب المقنع فى العرض والتحليل، ووجدت نفسى مشدودا للكاتب أحمد إسماعيل الذى كان قائدا لكتيبة هناك ودنوت منه وتعرفت عليه وتتلمذت على يديه وكانت البداية فكان الأستاذ وهو الذى شجعنى للتقدم لكلية أركان حرب. . ويسترسل السيد اللواء حسن فى حديثه الممتع ويقول: فى المناطق النائية البعيدة، تكون الرابطة بين الأفراد قوية ـ بغض النظر عن الرتب والدرجات ـ فالعيشة تجعل الأفراد معا فى كل شىء وتتلاشى فوارق الرتب أمام العلاقات الإنسانية فنصبح نسيجا واحدا نأكل طعاما واحدا وشرابا واحدا وفى الليل نأنس بالمسامرة والحديث سويا. . . وفى وقت ما ، كانوا

يسمحون للعائلات بالتزاور ـ فى الجبهة وهنا ازدادت علاقتنا حيث التعارف الأسرى المترابط «وده» كان امتدادا للصداقة وكان هنا الصديق.. وبعد فترة انتهت مدة خدمتى فى رفح، ورشحت لبعثة فى الاتحاد السوفيتى وكان هو هناك أيضا فى بعثة أخرى ـ ثم عدت مدرسا بكلية أركان حرب.. وفى يوم ما أجد اللواء أحمد إسماعيل أمامى، قادما لمقابلتى وأخبرنى أنه عين قائدا للفرقة الثانية مشاة فى فايد ويريدنى معه، فأخبرته أننى لن أتردد فى قبول ذلك لو صدر أمر يكلفنى بهذه الوظيفة ويبتسم اللواء حسن موجها حديثه إلى ـ وهو يقول : ما أنت عارفة الحياة العسكرية لا تعترف بالصداقة والمحبة فقط، فلابد أن تغلف بأمر مكتوب. ثم يكمل حديثه قائلا: وفعلا صدر أمر بذلك ونفذته وبعدشهرين ثلاثة وجدته يسألنى عن تلاميذى فى الفرقة من هم؟ فأخبرته فلان وفلان.. فصرح لى بأنه يريد عمل مجموعة تدريب وتكون من هؤلاء التلاميذ وأكون أنا رئيسها، وسألنى قائلا: وقتك يسمح بهذه المهمة أم لا؟ فأجبت سأجعله يسمح.. عندئذ قال «إذن افعل ما تشاء ولك الحرية فى إعداد المشروعات والخطط والتنظيم أنت وتلاميذك.. وهذا بجانب عملكم الأساسى... واستهوتنى الفكرة وتشجعت

لها... وعلى فكرة، كانت وحدات الفرقة موزعة فى سيناء. «ودى» كانت من التجارب الرائعة التى أعطتنا الثقة وهذه من أهم ملامح شخصية أحمد إسماعيل، فهو يعطى الثقة ويراقب التنفيذ ويقيس مدى الالتزام! وقاطعت اللواء حسن قائلة: ولو خذله أحد؟ فأجاب بسرعة: كان يتدخل بحسم ويرشد ويعدل.. أى بجانب الثقة يعلّم تحمل المسئولية ويعطى الفرد فرصة للتفكير والإبداع.

ويسترسل فى الحديث ثم يتذكر مواقف أخرى ويقول: أثناء حرب اليمن صدر قرار بإرسال رئيس عمليات الفرقة الثانية مشاة لدعم قوات اليمن وهنا أفاجأ بقراره لى بأنه يرشحنى رئيسا لعمليات الفرقة! وأتولى المنصب.. وسرعان ما يصدر أمر بنقل رئاسة الفرقة إلى سيناء ويخبرنى بإعداد أنفسنا للذهاب لسيناء وطلب منى إحضار عدد من الضباط معنا وذلك بغرض الإعداد للانتقال برئاسة الفرقة إلى هناك وذهبنا بعربة جيب وكنا نسير فى طرق غير رئيسية لاستكشاف أنسب موقع وما إن وصلنا لوُسط الصحراء إلا ووجدناه ينزل من السيارة ويختار نقطة نطلق عليها (الإحداثى) ويعلن أنها مركز القيادة الجديد وتركنا لنخطط لمواقع وحدات الرئاسة من الألف للياء

وأخبرنا أنه سيذهب للعريش وسيكلم مركز القيادة لإرسال معدات إنشاء المعسكر من أكشاك النوم، ودورات المياه، والميز، والخيام. . . إلخ ـ أى تركنا على أرض خلا ورحل ـ وقال: غدا تكونوا جهزتوا كل حاجة وده كان قبل المغرب بقليل!! أربعة ضباط وعربة فى وسط الصحراء لا يوجد معنا أكل أو مياه أو وسيلة إضاءة أللهم إلا زمزمية مياه مع السائق، ودخل الليل وأظلمت الدنيا فماذا نفعل؟! هذا هو أحمد إسماعيل يعطى المهمة ويترك الفرد ينفذها وأخذنا نفكر وتشاء الأقدار وجود ضابط مهندس معنا وهو الزميل (أحمد شوقى فراج) ـ أطال الله عمره وطلبت منه رسم خريطة على ضوء السيارة وأخرجنا ورقة وأخذنا نخطط ونناقش ونرسم. . ولا «تعرفى» كيف مرت علينا ساعات الليل الطويل. المهم بعد الفجر بقليل وجدنا اللواء أحمد أمامنا ونظر على ما أعددناه ووجدنا أنه لم يعجبه شىء فأخذ يشخط ويزعق وحاسبنا كما لو كنا نرسم ونحن فى مكتب ومعنا أقلام ومساطر والدرس الذى أراد تعليمه لنا هنا هو الدقة وتحمل المسئولية والعمل فى كل الأوقات الحرجة قبل العادية والاستفادة من كل ما هو متاح أمامنا وقد قام برسم وتعديل تخطيط القيادة بنفسه وتم إنشاء قيادة الفرقة فى نفس

اليوم ونام الناس وأحضرت المياه وتم عمل الميز وانتصبت الخيام.. ويستكمل الحديث.. بعد ذلك تم نقلى مديرا لعمليات القيادة العسكرية الشرقية وفى تلك الفترة لم تنقطع صلتى باللواء أحمد إسماعيل وكان لايزال قائدا للفرقة الثانية مشاة وتستمر صلتى به، وفى هذه الفترة كنت أستعين به فى كثير من الموضوعات التى تهم عملى كمدير للعمليات فى القيادة الشرقية... وينتقل الحدث آخر مسلسل بتسلسل الزمن والأحداث وهو تشكيل قيادة جديدة فى القوات المسلحة تقريبا فى ١٩٦٥ وهى (قيادة القوات البرية) وقد كانت بقيادة الفريق أول/عبد المحسن مرتجى والذى وقع اختياره على اللواء أحمد إسماعيل ليكون رئيسا لأركان هذه القيادة. وفى هذه الفترة كان اللواء أحمد دائم المرور على القيادة الشرقية ويمر على الوحدات فى سيناء ودائما ما كنت التقى به فى الجبهة. إلى أن أعلنت التعبئة بدخول الجولة الإسرائيلية العربية الثالثة، والتى أطلق عليها (حرب يونيو ١٩٦٧) وانتقلت القيادة الشرقية إلى مسرح الأحداث الخاص بها وهو سيناء وفى الوقت نفسه شكلت قيادة أطلق عليها (قيادة الجبهة) وكانت تشرف على جزء رئيسى من سيناء تحت القيادة الشرقية وإضافة هذه الجبهة هي المسؤلة عن

جبهة العمليات فى شمال وجنوب سيناء وعينت قيادة القوات البرية لتكون قيادة هذه الجبهة وبالتالى أصبح اللواء أحمد إسماعيل رئيسا لأركان هذه الجبهة.. ومرت ٦٧ بكل الأحداث الطويلة والمريرة وعادت القوات إلى غرب القناة قيادة القوات الشرقية وأيضا لغرب القناة إلى أن صدر قرار فى ذلك الوقت بالاستغناء عن خدمات معظم القادة الكبار فى جيش مصر وكان من ضمن هؤلاء القادة ـ الغير متوقع خروجهم ـ الفريق أول/ مرتجى واللواء. أحمد إسماعيل.

ولكن سرعان ما يتخذ الرئيس جمال عبد الناصر ـ رحمه الله ـ قرارا بإعادة اللواء أحمد إسماعيل مرة أخرى لصفوف القوات المسلحة ـ أى ترك الخدمة لمدة ٤٨ساعة فقط وبمجرد عودته، عين قائدا للقيادة العسكرية الشرقية وهى فى مهمتها الجديدة التى تنحصر فى الصمود غرب القناة، وإعادة تنظيم القيادة وتسليحها وتدريبها حيث إنه وجد اقتناعًا كاملاً ـ سواء عند أفراد الجبهة أو القادة أو حتى على مستوى القيادة العامة ـ أنه لا يمكن أن تكون الجولة الثالثة هى آخر الجولات وبالتالى فإن الجولة الرابعة لابد من الإعداد لها جيدا قبل شنها.... ومن هنا بدأ اللواء/ أحمد بعد ٦٧ فى إعادة التنظيم فى القوات

وأخذ يعيد تدريبها وتنظيمها وتسليحها واختار اللواء/ محمد عبد الغنى الجمسى رئيسا لأركان القيادة، والعميد حسن الجريدلى مديرا للعمليات وبدأنا إعداد القوات للجولة الرابعة.

وعملية الصمود فى هذا الوقت كانت عملية صعبة جدا فالجيش أمام الجميع منسحب والروح المعنوية متأثرة جدا بسبب الخسائر فى الأفراد والتسليح.. وكانت عملية شاقة **لإعادة الروح المعنوية للقوات، وإعادة تشكيل الوحدات من جديد وتخصيص المهام والصمود وظهر فى الوقت ثلاثة أحداث فى منتهى الغرابة!!** حيث إن كل الناس كانت قد تخيلت أن الجيش المصرى أو القوات المسلحة انتهت بعد ٥ يونيو ٦٧، ولكن يشاء الله فى أوائل شهر يوليو ٦٧ بحدوث معركة بسيطة (رأس العش) فالقوات عندما انسحبت من سيناء أصبحت خالية من القوات عدا مدينة واحدة هى (مدينة بور فؤاد) وكان الأمر أن نمنع سقوط مدينة بورفؤاد، فكانت قوة بسيطة جدا تؤمّن الدخول إليها من اتجاه الجنوب شرق القناة، وفى الجانب الآخر نجد القوات الإسرائيلية تجهز للوصول إلى بورفؤاد وتشكيل القوة لتقتحم الموقع الصغير الموجود فى جنوب بورفؤاد؛ وعلى فكرة الجزء ده ضيق وطويل جدا وبورسعيد عاملة زى

الرأس، وكان يطلق عليها لفظ ـ طريق البركة ـ ولكنى اخترت اسما آخر لها وهو (رقبة الوزة).

ويلمحنى أبتسم فيقول: هى فعلا زى رقبة الوزة ويشير بيده على خريطة خلف مكتبه ليؤكد لى المسمى ويستمر فى السرد ويقول: وقامت معركة رأس العش وانتصرت القوة الصغيرة البسيطة وأوقفت سحب العدو واستمرت بورفؤاد سالمة إلى ما شاء الله.. وقد كانت معارك رأس العش بداية لمرحلة الصمود التى امتدت حتى سبتمبر ١٩٦٨.

ويأتى الحدث الثانى فى الرابع عشر من يونيو ١٩٦٧ فتطلق نسورنا إلى سماء سيناء ببضع طائرات كانت هى الباقية من طائراتنا الجوية التى دمرت على الأرض يوم الخامس من يونيو وأخذوا يقذفون بعنف قوات العدو المدرعة والميكانيكية ومدفعياته فى عمق سيناء، وحينما تصدت لهم طائرات العدو، **دارت معارك جوية ضارية أثبتت فيها نسورنا شجاعة** وكفاءة أذهلت المؤسسة الإسرائيلية العسكرية والعالم كله... وتمضى الأيام وتزداد التراشقات بالأسلحة الصغيرة والمدفعية وترتفع معدلات خسائر العدو فى الأفراد والمعدات مما جعل اسرائيل

توجه ضرباتها إلى مدن القناة بواسطة مدفعياتها الثقيلة، حيث استشهد عدد كبير من مواطنى هذه المدن ثم نأتى **للحدث الثالث** والذى لايقل أهمية عن سابقيه وهو **تدمير المدمرة إيلات**.

فى الحادى والعشرين من أكتوبر ٦٧ تسجل البحرية المصرية حدثا فريدا فى تاريخ الحروب البحرية على المستوى العالمى.. فقد تقدمت المدمرة الإسرائيلية إيلات فى غرور وصلف إلى مياهنا الإقليمية أمام مدينة بور سعيد وانطلقت لنشاتنا الصاروخية تسبقها إرادة الرجال لتطلق صواريخها بحر ـ بحر لأول مرة فى الحروب البحرية لتسكن المدمرة إيلات التى تمثل نصف القوة البحرية الإسرائيلية ـ فى ذلك الوقت ـ قاع البحر، وتغرق معها آمال المؤسسة العسكرية وغطرستها ودعاياتها عن جيش إسرائيل الذى لا يقهر وهذه واحدة من عمليات أخرى كنا نشفى بها غليلنا ونحاول أن نرد اعتبارنا ونستعيد كرامتنا التى فقدت أمام أنفسنا قبل العالم.

أعود للحديث عن المشير أحمد إسماعيل وأقول: بعد ضرب المدمرة إيلات كنا نتوقع ردًا عنيفًا من العدو وأخذنا نفكر

ونتساءل ما هو رد فعل العدو؟ أكيد لن يسكت فهو منتصر ومحتل لسيناء كلها وهذه العملية قد قضت على جانب كبير من قوته البحرية، وقد كان يتوقع أنه لم يعد وجود للقوات المصرية، وبالتالى، فهذا العمل سيثيره وأكيد سيرد ردا عنيفا . . والاحتمال الأكيد أنه سيضرب (قاعدة بورسعيد). . ويفاجئنا المشير/ أحمد إسماعيل بأن له رأيًا آخر أبعد من ذلك. إلى ميناء السويس!! فقد كانت مكدسة بالمراكب ويوجد بها خزانات بترول كثيرة. . وهى صيد ثمين جدا جدا. . وأن الأمر يستوجب أن نرفعه إلى القيادة السياسية فى القاهرة، حيث أننا نتنبأ بحدوث كارثة مروعة كرد فعل عكسى للعدو، وفى ذلك الوقت كان موجودا السيد/ على صبرى الذى أوفده الرئيس/ جمال عبد الناصر إلى الإسماعيلية بهدف الإشراف على الناحية الاجتماعية، والشعبية ورفع الروح المعنوية للأهالى وبلغناه بذلك وبلغنا هيئة القناة. . وتم فورا البدء فى إخلاء ميناء السويس من البواخر الراسية به، ولم ننم ليلتنا، وبدأنا فى الإشراف على تسريح هذه البواخر إلى خليج السويس بعيدا عن الميناء، كما قمنا بالاتصال بوزارة البترول فى القاهرة كمحاولة لإخلاء خزانات البترول ـ على الأقل ـ وبدأت محاولات جادة

لذلك، وفعلا حدث ما توقعه المشير أحمد إسماعيل، وبدأت غارات العدو على السويس ولكن لم تكن الخسائر كثيرة ولم تحدث خسائر فى البواخر ولكن حدثت بعض الخسائر فى منطقة الزيتية وفى خزانات البترول، وفى بعض مدن القناة وبناء على إخبارنا للقيادة السياسية فى القاهرة بذلك فإن الرئيس جمال أصدر قرارا بضرورة إخلاء مدن القناة ومنطقة القناة كلها من المدنيين، وقد كان ذلك هو بداية التهجير.. وهذا القرار كان له أكثر من دلالة ومعنى فقد كان قرارًا جريئا وخطيرا أو كان يعنى أننا ماضون على الطريق لتحرير الأرض بقوة السلاح رافضين أن يكون أهلنا فى مدن القناة رهينة تحت رحمة القوات الإسرائيلية، أو عقبة أمام حرية قواتنا فى الاشتباك مع العدو.

وتوالت العمليات الاستنزافية والقتالية وظهرت البطولات الرائعة التى مهما كتبنا عنها فلن نوفيها حقها والتعبير عن معدنها الأصيل الرائع، ولكن هؤلاء هم أبناء ورجال مصر.

وفى هذه الفترة كنا نسير وراء كلمة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى أن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة).

نعود لبطل حديثنا، فى هذه الفترة وجد اللواء أحمد

إسماعيل أن الجبهة واسعة وتحتاج إلى سيطرة أقوى ورأى ضرورة تقسيمها إلى جيشين ميدانيين والعمل على إعادة تنظيم القيادة، وقد كانت من الفترات العصيبة التى احتاجت إلى مجهود شاق، حتى ظهر تشكيل جديد للجبهة، وانقسمت إلى (الجيش الثانى الميدانى) وعين اللواء/ أحمد إسماعيل قائدا له والجيش الثالث الميدانى وعين قائدا له اللواء/ عدلى حسن. وبدأ الاستعداد المكثف للجولة الرابعة والتنافس الراقى بين الجيشين فى درجات الاستعداد ورفع الكفاءة القتالية والإعداد المتكامل للحرب القادمة ـ لا محالة.

بعد ذلك انتقلت للعمل بهيئة العمليات، ولم تنقطع صلتى بالجبهة، وباللواء/ أحمد إسماعيل وبعد فترة يعين اللواء/ أحمد إسماعيل رئيسا لهيئة العمليات وها نحن نعود للعمل معا مرة أخرى، وبذلك نكون قد عملنا معا على المستوى الميدانى فى الجبهة وعلى المستوى الإستراتيجى فى هيئة العمليات.

وتمضى الأيام... ويستشهد الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة ويقع الاختيار على اللواء/ أحمد إسماعيل ليعين مكانه ويرقى لرتبة الفريق.

وتبدأ مرحلة أخرى هامة فى حياة الفريق/ أحمد إسماعيل

وعندما أتينا لهذه المرحلة الهامة فى حياة بطلنا الراحل وجدت نفسى أسأل اللواء/ حسن عن حادثة الزعفرانة... وأجده يقول: حادث الزعفرانة حادث معروف جدا.... فهى الواقعة التى بعدها تم الاستغناء عن خدمات الفريق/ أحمد إسماعيل كرئيس أركان القوات المسلحة... والواقعة دى تتلخص فى حدوث غارة من الجانب الإسرائيلى فى منطقة خليج السويس ووصلوا حتى منطقة الزعفرانة وقطعوا الطريق للبحر الأحمر، وفى هذا الوقت كان يوجد مشروع تدريبى فى منطقة قريبة من الإسماعيلية يطلق عليها (استراحة عثمان).. وكان موجودا فى هذا المشروع الرئيس/ جمال عبد الناصر والفريق أول/ محمد فوزى وزير الحربية، وبعض قادة الأفرع الرئيسية ووصل للرئيس عبد الناصر خبر بأن العدو قد عبر خليج السويس وقطع الطريق للبحر الأحمر، والذى أعرفه أن المشير أحمد إسماعيل كلف بتجميع معلومات حول هذا الحادث وقام الفريق أحمد بالاتصال بمركز العمليات.. وقد حدث تأخير فى وصول المعلومات والبلاغات.. وبعد ذلك تم عزل الفريق أحمد إسماعيل من منصبه وتعيين الفريق محمد صادق

خلفا له وتم نقل رئيس هيئة العمليات، وبعض رؤساء الشعب بها إلى أماكن أخرى.

ويدور فى ذهنى تساؤل حول شخصية أحمد إسماعيل الإنسان حيث شكك البعض فى نواحيه الإنسانية، فأجد اللواء حسن يجيب على تساؤلى هذا قائلا: من الناحية الشكلية فإنه يبدو لأى فرد يقابله للمرة الأولى أنه شخص قاس، حاد وعنيف، عنيد، . . . ولكن بعد التعامل معه يجده من أبسط ما يمكن ويجد فى داخله أبًا ومعلمًا يعتز بنفسه ويثق بها ، وكذلك يثق فى جنوده وسرعان ما يجد من يقترب منه، إنه إنسان بمعنى الكلمة ولكنه لا يتهاون أبدا فى نواحى العمل.

ويتذكر كم أنه كان بسيطا ولا يجد حرجا من التحدث مع أى فرد من قواته فقد كان يمر على القادة ويستمع إلى تقاريرهم، وكان يسأل كل جندى بنفسه هل المهمة وصلته؟ وهل هو متفهم لها؟! وإذا وجده يعرفها فإنه يشجعه ، ويتركه يفكر فيها وفى كيفية تنفيذها، ولو وجده لا يعرفها ينفعل ويثور ويجازى قائده الذى فشل فى توصيل المهمة له بكل دقائقها.

ومن إنسانيته أنه لم يترك جنوده المصابة فى المستشفى إلا

وزارهم وكل فرد تحت قيادته كان يأخذ حقه ويعرف ما له وما عليه ولكنه لا يعترف بالواسطة ولا يحبها.

نعود لفترة خدمته وهو رئيس لأركان حرب القوات المسلحة ونجد أنه ترك بصمة واضحة كعهده دائما فى كل منصب تولى قيادته فى القوات المسلحة حتى خروجه من الخدمة فى ١٠ سبتمبر١٩٦٩.

وها هو يعود للحياة مرة أخرى بتولى منصب جديد يكلف به فى ١٥ مايو ١٩٧٥، فالحقيقة أنه بعد أن توفى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ـ رحمه الله ـ وتعيين الرئيس السادات فإنه فكر فى أحمد إسماعيل واستدعاه مرة أخرى ولكن ليس فى القوات المسلحة بل ليرأس جهازًا من أجهزة الدولة وهى جهاز المخابرات العامة، ونرى أنها كانت من الفترات الهامة فى حياة المشير أحمد إسماعيل حيث خلف وراءه منصبه هذا بصمة واضحة لا يستطيع أحد أن يمحوها من تاريخه.. وقد ساعده هذا المنصب على التعرف أكثر عن العدو وفهمه بدقة وفى عهده تمكن جهاز المخابرات من ضبط أخطر قضايا الجاسوسية... ولا أنسى موقفًا شخصيًا معه وخاصًا بابنى الذى كان ضابطا بالقوات البحرية فقد أرسل لوزارة الحربية بترشيحه للعمل

بالمخابرات العامة هو وبعض الضباط الآخرين، وكان من بينهم أبناء ضباط كبار بالقوات المسلحة.. وأتذكر وقتها أنه اتصل بى شخصيا ليؤكد لى - بلهجة صادقة - أنه لم يرشح أحدا لكونه ابن ضابط كبير ومن بينهم ابنى بالطبع بل أن الترشيح تم على أساس السيرة الذاتية للمرشح نفسه، وبعد التأكد الكامل من صلاحيته للعمل كضابط مخابرات فى جهاز المخابرات العامة.. هذا هو أحمد إسماعيل[1].

ونعود للمشير أحمد إسماعيل والحديث هنا على لسان اللواء/ حسن نجده يقول: فى عام ١٩٧١ لما حصلت تغيرات وعين الفريق صادق (الذى كان رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة) وزيرا للحربية، واختارنى لأن أكون سكرتيرا عاما لوزارة الحربية وكنت فى هذا الوقت أعمل فى هيئة العمليات، وتوليت المنصب ثم حدث فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٢ ... أن صدر قرار بقبول استقالة الوزير صادق وفى ذلك اليوم كنا فى رمضان، كنت فى الوزارة، وذلك قبل المغرب بقليل، ووجدت الفريق

(١) (ملحوظة: ربما فى إصدار آخر أستطيع أن أغطى فترة رئاسة السيد المشير أحمد، لجهاز المخابرات العامة وعرض ما حققه من إنجازات ونجاحات كثيرة وعظيمة فى هذه الفترة).

صادق يكلمنى فى التليفون من منزله، ويخبرنى بأنه سلم استقالته الساعة الرابعة مساء اليوم، وسألته عن السبب، لكنه لم يجب، والحقيقة أن الرجل قال لى: خلىّ بالك من الوزارة واسأل عن القوات كلها، والخبر ده لم يذع بعد والبركة فيكم فى عدم حدوث أى خلل فى القوات المسلحة وقادها فى مرحلة هامة من مراحل إعدادها وبعد ذلك اتصلت برئيس الأركان وهو الفريق/ **سعد الدين الشاذلى** وقلت له إن الوزير صادق قد استقال، فوجدت أنه يعلم، وقرر أنه سيعقد مؤتمرا مساء نفس اليوم لكى يطمئن على القوات إلى أن يعين وزيرًا جديدًا، وبدأنا المؤتمر، وسألته عن الوزير الجديد؟ فأخبرنى أن ذلك سيظهر عندما يعلن ذلك السيد رئيس الجمهورية، وخلصنا المؤتمر وطلعت لمكتبى ولقيت السكرتارية الخاصة بى تخبرنى أنه اتصل بى مقدم يدعى (حمدى الجندى) أربع مرات، وأنا كنت أعلم أن حمدى هذا هو سكرتير الفريق أحمد إسماعيل، واستنتجت على الفور أنه هو الوزير الجديد واتصلت بحمدى وأكد لى حسن تخمينى وأخبرنى أن الوزير أحمد إسماعيل يريد أن أكون فى الوزارة عندما يصل وأنه أجل حضوره للوزارة إلى أن ينتهى المؤتمر الذى كنت حاضره، فأخبرته أننى لن أغادر

الوزارة حتى يحضر، وفعلا فى منتصف الليل حضر الوزير أحمد إسماعيل إلى الوزارة ، وأنا فاكر أنه كان لابس البدلة الرسمية ورحبت به وفى قرارة نفسى كنت فى منتهى السعادة لأنى سأعمل معه مرة أخرى. . وسرعان ما أجده يستفسر عن موقف القوات وما دار فى مؤتمر رئيس الأركان وأخبرته بكل ما حدث وأن القوات المسلحة ما زالت لم تخطر بالوضع الجديد إلا عندما تصدر أوامركم بذلك. . . وبعد ذلك طلب مدير المخابرات الحربية وقعدنا حتى قرب السحور، إلى أن قال: ما تقوموا بقى تتسحروا. . وبدأت تنمو العلاقة من جديد مع الفريق أول/ أحمد إسماعيل ولكن وهو وزير للحربية وقائد عام للقوات المسلحة فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٢، وبمجرد أن عاد للقوات المسلحة أجد أن أول طلب يطلبه منى، وأنا أمين عام لوزارة الدفاع، هو عمل برنامج مرور على جميع «وحدات» القوات المسلحة، وأنا أصر على كلمة وحدات لأنه كان بينزل لمستوى الوحدة، أى لم يكن يركز على قيادات القوات المسلحة، وقيادات الجيوش فقط ، وعملنا له برنامج حافل جدا وكان لا يبخل فى المرور، لأنه كان يريد أن يتصل بالقوات، عايز يعرف هى بتعمل إيه، وكان واضح جدا أنه جاى بمهمة

محددة من رئيس الجمهورية فأحمد إسماعيل رجل حرب وقتال.

وفى كل مرور على الوحدات كان يقول للجنود والضباط:

(أنا جيت وأنا ثقتى فيكم غير محددة، فإن كنتم قادرين على أن تعدوا قواتكم وترجّعوا الكرامة فاثأروا لما حدث فى ٦٧ وأنا أيضا ثقتى فى نفسى لا حدود لها.. إننا سننجح سويا فى هذه المعركة).

وأحاول آسفة أن أختزل من كلمات اللواء حسن ـ بالرغم من حديثه الشيق ـ ويرجع ذلك إلى أننى لا أود أن يسرقنى الوقت والكلام ـ ربما أعود لنذكر هذا الكلام، فى موقع آخر فيما بعد ـ ودعونا الآن نبحر فى فترة الإعداد للحرب.

●●●●●

مرحلة الإعداد للحرب

مما لا شك فيه أن الفترة التى كانت فيما بعد النكسة وحتى قبل الحرب وما اشتملت عليه من عمليات استنزافية ما هى إلا تمهيد وإعداد للحرب **وبعودة الفريق أول. أحمد إسماعيل وضح أنه آت لتنفيذ مهمة محددة ولمرحلة معينة.. فالفريق صادق انتهى دوره فى المرحلة التى عين فيها ونفذ مهمته على أكمل وجه، أما الفريق أول/ أحمد إسماعيل فوضح أن له دوراً آخر!! حيث إن ما عرف عنه هو أنه (رجل حرب) وبالتالى لن أستطيع أن أتحدث عن حياة المشير أحمد إسماعيل دون أن أتحدث عن دوره فى إعداد الحرب مع القادة الآخرين .. ويروى لى اللواء/ حسن.** كيف أنه دخل على ـ المشير أحمد إسماعيل ـ مكتبه فى فبراير ١٩٧٣وتحدث معه قائلا: سيادة الفريق، أنا لى ملاحظة، وهى؛ أنه حدث مرتين قبل ذلك أن تأكد لنا أننا سنحارب ولم نحارب، وكان ذلك فى عامى الحسم والضباب .. وبما أن الجميع يعرف أنك قائد محترف ورجل حرب ـ وتتحدث مع القوات عن الحرب ـ فأنه ستصبح طامة كبرى لو لم تقم الحرب من طرفنا نسترد بها حقنا وكرامتنا..

فنظر لى طويلا وقال «عشان تصدق من الآن ترجع ضابطا للعمليات مرة أخرى بجانب عملك كسكرتير عام لوزارة الحربية «وأمرنى بالحضور والمشاركة فى كافة الخطط والتدريبات والمناقشات.. وتأكدت أن الحرب على الأبواب والحقيقة أن المشير أحمد كان يريد هذا الدافع وهذه الروح ويسعى لنقله لكل رجال القوات المسلحة وحضرت كل التدريبات وهى فترة من الفترات التى أفخر وأعتز بها كثيرا وكانت قبل الحرب تقريبا بثمانى شهور.. ويعود للحديث عن المشير أحمد فى موقع آخر ويقول: وبدأ المشير فى دراسة عميقة لخطة الحرب، وهى خطة تراكمية، حتى وصلت للخطة الملائمة فى كل شيء (الإعداد، التسليح، التفكير، الإمكانيات...) كل شيء للحرب.

والآن نأتى للإعداد الفعلى للحرب، وكان أول وأكثر اهتمام، هو إعداد الفرد حيث يجب إعداده بصورة جيدة وملائمة لتنفيذ مهمته، بدنيا وثقافيا ومعنويا، ومهاريا.. إلخ.

وكمثال لما قام به الجندى المصرى بعد إعداده:

فإن أول موجة عبرت الساتر الترابى، كانت من الجنود المختارين جيدا لمهمتهم. وعبروا الساتر الترابى الذى يبلغ ارتفاعه أكثر من (١٨ متر) وهو عبارة عن تل من الرمل ـ ناتج

حفر قناة السويس من عشرات السنين ومن أيام الخديوى إسماعيل وتوفيق ـ وكانوا حاملين لمعداتهم الثقيلة التى تزن أكثر من ٣٠ كيلو على ظهورهم، وكانوا يعرفون أنهم بعد ذلك سيقاتلون ويحاربون وحدهم لمدة ٦ساعات كاملة حتى تفتح الثغرات وتنصب الكبارى، وبالنسبة للقادة فقد عبروا مع الموجات الأولى من قادة الفصائل ، يليها قادة السرايا ، ثم الكتائب، ثم اللواءات، ثم قادة الفرق حتى كان الجميع فى الشرق قبل أن يأتى الليل وهذا ما يؤكد أن الجنود هم القادة الأوائل وراء السلاح.

والخلاصة السريعة أن إعداد الجنود قد تم (نفسيا ومعنويا وبنيانيا وفى التسليح والثقافة والمهارة فى التصرف واستخدام السلاح وإعدادهم لمحاربة أفراد أو مهاجمة دبابات أو صد هجوم منخفض للطائرات وكل ما سوف يتعرضون له من أسلحة وعتاد للعدو . . كل ذلك بروح عالية وثقة فى النفس، وفى السلاح وفى القيادة، وفى الهدف . . وقد ظهرت بطولات ومواقف بطولية كثيرة للمقاتل المصرى الذى سعى جاهدا للقضاء على المشاكل المتعددة التى واجهته وعمل على تقديم الحلول والأفكار والمقترحات التى تساعده على إنجاح مهمته وكل

ذلك بيده وعقله، دون الاستعانة بأى فكر آخر غير مصرى.

ملحوظة: تم ذكر بعض لهذه المشاكل على لسان المشير/ أحمد إسماعيل فى فصل آخر من الكتاب.

ويستكمل اللواء حسن حديثه ويقول: وفى النهاية لا أستطيع أن أغفل دور الزعيم البطل أنور السادات رحمه الله فوجوده بجوار الجنود وزياراته المتكررة للجيشين الثانى والثالث وحديثه مع الجنود بمنتهى الأبوة والبساطة ساعد كثيرا على رفع الروح المعنوية لهم وبث الثقة فى نفوس الجميع.

أى أن الجميع شارك وعمل وأصبح لا يفكر إلا فى أداء مهمته وتنفيذ المسئولية التى تقع علي عاتقه، على أتم وجه.. وكنا روحًا واحدة اجتمعت على هدف واحد هو النصر واستعادة الأرض والكرامة أو الشهادة.

وأجدنى لا أستطيع أن أترك اللواء/ حسن الجريدلى ـ أحد الرجال الذى شاهد وشارك فى ملحمة النصر وكان موجودا فى غرفة العمليات التى تدار منها الحرب وأقرب الأشخاص إلى المشير أحمد إسماعيل ـ دون أن نتطرق للحديث عن الساعات التى سبقت الحرب.. وعندما طلبت من سيادته أن يصف لى

الساعات القليلة التى سبقت الحرب مباشرة أجده يقول:

سأحدثك عن ـ ٢٤ ساعة ـ التى ابتدأت من ظهر يوم الجمعة ٥ أكتوبر حتى يوم السبت ٦ أكتوبر ظهراً... إنها ساعات لا تمحى من الذاكرة فهى حية ومسجلة بالصوت والصورة ومعايشة لى فى الخيال.

فى الجمعة السابقة للحرب، ذهبنا لمبنى الوزارة كأى يوم عادى فى هذا الوقت وقبل ذلك عملنا زيارات لمركز العمليات وذلك لمتابعة المشروع الاستراتيجى، وكم من مرة بيتنا فيه وفى هذا اليوم كان كل شيء عادى وهادىء وصلينا الجمعة وبعد الصلاة توجهنا لمركز العمليات ونزلنا من الوزارة وركبنا العربة الجيب وسرنا فى (شارع الخليفة المأمون) والشارع كان هادئاً والناس التى تسير عددها قليل ويرجع ذلك إلى أن اليوم عطلة أسبوعية وكمان الكل صائم ومستكين فى منزله وبينما كنا نسير بالعربة ، يفاجئنى الفريق أول/ أحمد بقوله:

تخيل،لو قابلنا بعض الناس وقلنا لهم إن أحنا هانحارب بكرة... ترى ماذا سيقولون ؟؟ فأجبت بلا تفكير : أكيدها يقولوا علينا مجانين، معذرة لهذا اللفظ ـ فابتسم وصمت:

وبعد ذلك عرض على أن نفطر بنادى الجزيرة وسألته قائلا :سيادتك سبق وترددت على نادى الجزيرة قبل كده؟.. قال: أبدا.. قلت له: إذن المبالغة فى التضليل قد تكون لافتة للنظر، فضحك المشير وقال إنه كان يمزح.. وتركنا الشارع وسرنا فى طريق الصحراء فى طريق عام لا يدعو للشك إلى أن وصلنا لمركز (١٠) وهو مركز العمليات وبداخله غرفة العمليات الرئيسية! ، وهى الغرفة التى تدار من خلالها الحرب، والمركز عبارة عن ١٦ غرفة عمليات مصغرة ويعمل بها مديرو الأسلحة ومندوبو الأفرع الرئيسية، ودخلنا غرفة العمليات وهى الغرفة الوحيدة التى تعرف موعد الحرب وبالتالى كان عدد قليل جدا من القادة التى كانت تعرف هذا الموعد.. وعلى فكرة المركز يحوى العديد من الضباط والجنود.. ولكن لا أحد يعرف مكانه وما يدار به ويبتسم وهو يتذكر كيف أن المركز كان يعمل تحت ستار تنفيذ مناورة عسكرية استراتيجية ثم تنقلب إلى إدارة حرب حقيقية فى الموعد السرى المحدد لذلك وبلغ من السرية أنه قبل القتال بساعة، أن أحد الضباط الكبار بالمركز سأله: «هى ها تنقلب جد ولا أيه؟» ويعود للحديث عن المشير أحمد ويقول وفى هذا اليوم استمع الفريق أول أحمد إسماعيل إلى التقارير

اليومية عن سيرالمناورة (المشروع).

وسار اليوم عادى جدا وفى صباح يوم السبت الموافق ٦ أكتوبر بدأ التوتر والشد العصبى فى الظهور علينا وخاصة كلما اقتربنا من اللحظة الحاسمة ولكن كالعادة، فإن المشير أحمد كان يلتزم بالهدوء وعدم الانفعال وعندما دقت الساعة الثانية عشر ظهرا قمنا لصلاة الظهر وبعد ذلك انحنى عليّ المشير أحمد وأخبرنى أنه سيغادر غرفة العمليات وسيعود فى الواحدة والنصف ومعه الرئيس السادات ، القائد الأعلى للقوات المسلحة ونادى على اللواء / الجمسى وأخبره بإغلاق جميع الأبواب الخاصة بالمركز وكذلك غرفة العمليات فى تمام الواحدة بعد الظهر ، وأن تحل خرائط المشروع، وتوضع خطة الحرب. . .

وفى الساعة الواحدة والنصف. وصل السيد الرئيس محمد أنور السادات ودخل من مدخل خاص بسيادته وقد كنت فى استقباله بناء على تعليمات من المشير أحمد ويصف لى اللواء/ حسن مشاعره فى هذه اللحظة ويقول : لقد عظمت الرئيس بأدق تعظيم لى منذ دخولى لصفوف القوات المسلحة وأقول له بالتوفيق يا أفندم إن شاء الله. وكادت أن تتساقط الدموع من مقلتى وأنا أسلم على البطل الرائع السادات الذى طبق على

يدى وهو يقول إن النصر لنا بإذن الله وسار القائد الأعلى ومعه المشير أحمد إسماعيل والوزير / عبد الفتاح عبد الله ـ وزير رئاسة الجمهورية ـ إلى أن وصلوا إلى غرفة العمليات الرئيسية ووقفوا أمام الترابيزة الرئيسية وجلس الرئيس السادات فى المنتصف... ويصف لى هذه الترابيزة ويقول : هى عبارة عن ترابيزة عالية فى النصف يجلس السيد رئيس الجمهورية، وإلى يمينه القائد العام للقوات المسلحة، الفريق أول/ أحمد إسماعيل وإلى يساره رئيس أركان حرب القوات المسلحة الفريق / سعد الدين الشاذلى ثم الوزير عبد الفتاح عبد الله، وكان مكانى بجانب الفريق أحمد إسماعيل وإلى يسار المنضدة الرئيسية تتواجد منضدة رئيس هيئة العمليات ورئيس مجموعة السيطرة الذى ينسق البلاغات وهما بالترتيب اللواء/ محمد الجمسى واللواء/ فاروق الشيخ.

وعلى الحائط كانت معلقة خطة الحرب التى ستنفذ،وعلى الترابيزة الكبرى فى وسط الغرفة توجد خريطة إدارة الحرب وحولها يوجد ضباط المحاور الذين يتابعون سير العمليات من خلال اتصالات مستمرة مع كافة قيادات وأجهزة القوات المسلحة ويطابقونه مع خطة العمليات وفى الواجهة يوجد دولاب

زجاجى مرسوم عليه خريطة الجمهورية ،يوجد عليه كل المطارات الحربية بمصر، وخلف هذا الزجاج الشفاف ، يوجد مندوبون من القوات الجوية، كل فرد يرتدى سماعة ويتصل بمطار معين، وفى يده طباشير أصفر وكانت وظيفته هو تدوين سير أعمال القوات الجوية على هذه الخريطة.. والغرفة كان يعتريها سكون تام وقبل الساعة الثانية ظهرا بلحظات، كانت العيون كلها تتجه للوحة الشفافة وهى ترى نقاطًا صفراء تسجل انطلاق طياراتنا العملاقة ـ والتى تبلغ حوالى ٢٠٠ طائرة ـ من جميع المطارات المصرية، وتسير فى اتجاه قناة السويس وتتجمع فى خط واحد، وفى الثانية وخمس دقائق تعبر القناة وتفترق وتختفى وتسير نحو الهدف حيث شملت المطارات وقواعد الصواريخ ومراكز القيادة ومحطات الرادار ومرابض المدفعية الإسرائيلية بعيدة المدى وغيرها. وبدأت الضربة الجوية... الجميع صامت لا يستطيع أحد أن يفتح فمه، فها هى الطيارات تسير نحو الهدف ، لكن ما هى النتيجة!! القلوب تدق بعنف، والأعصاب مشدودة، الجميع ينتظر.. وفجأة تبدأ النقاط تضىء من جديد وتشير لعودة الطيارات بعد تنفيذ مهمتها ووسط هذا السكون القاتل يرن التليفون ويسمع صوت اللواء طيار/ محمد

حسنى مبارك وهو يقول بكل حماس: الحمد لله . . . الضربة الجوية نجحت والخسائر ضعيفة ولا تتعدى خمسة فى المائة. كل هذا وباقى المركز لا يعلم شيئا عن ما يحدث. وبعد ذلك ابتدأت الحرب الفعلية ، وها هو اللواء/ محمد سعيد الماحى (شفاه الله) يعطى التمام عن المدفعية ويعلن بأن رجال المدفعية يضربون الآن مواقع العدو فقد كان عبور طائراتنا للقناة إشارة لاستعداد المدفعية للاشتباك لترتفع من فوقها شباك التمويه ويظهر من تحتها فوهات أكثر من ٢٠٠٠ مدفع. . وتنطلق داناتهم بعد ثلاث دقائق فقط من عبور الطائرات. . . وفى نفس الوقت تصعد الدبابات والأسلحة المضادة ذات المدى الطويل فوق التلال والمصاطب الصناعية غرب القناة مباشرة والمسيطرة على الشاطىء الآخر من أجل التأمين المباشر لعملية العبور وتستمر الملحمة ليبدأ مباشرة عبور المفارز المكلفة بالاستطلاع، وكذا مجموعات اقتناص الدبابات لمنع الاحتياطات الإسرائيلية من التدخل فى عمليات الاقتحام وعبور القناة وهكذا تتوالى البلاغات والتسجيلات وتشتد الملحمة ويتم عزف سيمفونية رائعة من البراعة والدقة فى الأداء. . لقد كان اندفاع الطيران نحو الشرق قد شد من هامات الرجال الذين انطلقوا نحو

قواربهم يعدونها للعبور بكل القوة والثقة أملا فى النصر ـ بإذن الله ـ والذى لا نستطيع إنكاره هو أن كل فرد قد أدى دوره على أكمل وجه، وفى منتهى الروعة والدقة.. وبعد ذلك بدأ تركيب الكبارى التى ستعبر عليها المدفعية والدبابات، وتوالى تنفيذ باقى الخطة والعملية وتمر الساعات والمعركة تتم على أكمل صورة، والرئيس يتابع الموقف لحظة بلحظة ، ولمدة ست ساعات ، وفى الثامنة مساء يغادر الرئيس السادات الغرفة وهو يهنئنا ويقول مبروك يا ولاد. العدو فقد توازنه.. وهنا نتذكر أننا لم نفطر حتى هذه اللحظة ونبدأ فى الإفطار الميرى الموجود بالمركز، وكان أحلى إفطار ممزوجا بفرحة الانتصار ومخلوطا بدموع الفرحة مما جعل له مذاقا رائعا أفضل وألذ من أى طعام ذقناه من ذى قبل.

وتمر الأيام الأولى من المعركة بنجاح كامل حتى يوم (١٦) أكتوبر. ففى هذا اليوم ذهب الفريق أول/ إسماعيل لمجلس الشعب ليلقى بيانا عما تم فى العشرة الأيام الأولى السابقة... وفى نفس الوقت بدأت عملية الثغرة.

وفى ٢٠ أكتوبر تقرر ذهاب الفريق/ سعد الدين الشاذلى إلى الجبهة فى منطقة الجيش الثانى لمعرفة الموقف على حقيقته وتصرف قائد الجيش حياله. وتوجه فعلا الفريق الشاذلى لتنفيذ

هذه المهمة.

وفى يوم ٢٢ أكتوبر ظهرا عاد الفريق الشاذلى من الجبهة إلى مركز العمليات وأتذكر أن الفريق الشاذلى كان متوترا ومنفعلا جدا ولما سألناه عن سبب ذلك قال فى عجالة: « إن الموقف سيىء فى الجبهة وإن العدو يتدفق إلى الغرب ولا توجد لنا قوات كافية هناك ويجب ضرورة سحب قوات من الشرق أو الغرب لمواجهة العدو هناك، وإعادة التوازن فى الجبهة وطلب مقابلة فورية مع الفريق أحمد إسماعيل، وكان فى الراحة بمكتب المركز، وطلب منى إبلاغه لمقابلته لأن الموقف صعب.

وأبلغت الفريق أحمد إسماعيل بذلك وقابل الفريق الشاذلى الذى أعاد عليه ما سبق أن قاله لنا وكان رد الفريق أول أحمد إسماعيل. إن قرار سحب أى قوات يجب أن يعلم به القائد الأعلى قبل تنفيذه وعموما فإنه سوف يتصرف.

وبعد فترة أخبرنى الفريق أحمد إسماعيل أنه سيتوجه لمقابلة السيد الرئيس فى قصر الطاهرة، ثم اتصل بى من هناك وأمرنى بالدعوة إلى اجتماع يحضره رئيس الأركان ورئيس العمليات وقادة الأفرع الرئيسية وبعض مديرى الإدارات بمركز

العمليات، حوالى العاشرة مساء وسوف يحضر السيد الرئيس هذا الاجتماع.. فقمت بتنفيذ ذلك.

وحوالى العاشرة مساء حضر السيد الرئيس بصحبة الفريق أحمد إسماعيل وأيضا الوزير عبد الفتاح عبد الله.. وبدأ الاجتماع بشرح الفريق أحمد إسماعيل لما قاله الفريق سعد الشاذلى بعد عودته من زيارة الجبهة ورأيه فى سحب قوات منها إلى الغرب، وأخذ الرئيس رأى بعض القادة الحاضرين وكلهم لم يوافقوا على سحب أية قوات.. وكان تعليق السيد الرئيس بانفعال بأنه لن يسمح بأى إنسحاب من الشرق ولن يعيد ما تم فى الجولات السابقة، ولن يترك شبرا من الأرض المكتسبة، ثم غادر الغرفة هو والفريق أحمد إسماعيل إلى مكتبه.

ويستكمل اللواء حسن حديثه ويقول وبالرغم من ذلك ومما قيل عن الثغرة فإن النتيجة النهائية كانت، فشل العدو فى تحقيق الهدف السياسى الكبير الذى كان يسعى إليه وهو احتلال أى من مدن القناة الكبرى (الإسماعيلية أو السويس) بل إنه وضع نفسه فى مأزق أو كما أطلق عليه الرئيس السادات فى جيب تحيط به قواتنا.

وخلال الفترة من وجود القوات الإسرائيلية داخل الجيب قمنا بحوالى ١٨٠ عملية تكتيكية ضد هذه القوات المحاصرة داخل الجيب.

كما أنه عند تعيينى رئيسا لهيئة العمليات، كانت أول مهمة كلفت بها هى وضع خطة لتدمير قوات العدو فى الثغرة، وفعلا تم وضع الخطة وكان اسمها «الخط الشامل» وشكلت مجموعة عمليات لتنفيذها وعرضت الخطة على الرئيس السادات للموافقة عليها وأتذكر تماما كلمته بعد عرضها عليه حين قال: «الحمد لله أنا أطمئنيت دلوقتى على عملية الجيب» ثم حدث بعدها اتفاقية فض الاشتباك والتى على أساسها انسحبت القوات الأسرائيلية بالكامل من غرب القناة وهكذا كانت الخطة «شامل» هى «الخطة التى لم يقدر لها التنفيذ».

وقبل أن أغلق موضوع الثغرة أساله باستحياء.. من المسئول عن الثغرة؟ فيقول لى بثقة:

لا يوجد أحد مسئول عنها.. المسئولية لا يمكن أن تكون على فرد بعينه.. فكما أن النجاح لا يعود لفرد واحد فقط.. بل لمجموعة متكاملة.. فالإخفاق هنا أيضالا يعود لفرد بعينه

كما قلت سابقا. لكن يمكن أن تقولى إنه يرجع إلى سرعة التطوير بالإضافة لضيق الوقت وللمساعدات الأمريكية لإسرائيل..

وأترك الحرب وأعود لأحمد إسماعيل الإنسان: وأجد أن اللواء حسن يخبرنى أنه: وبعد الحرب بدأنا نهدأ بعض الشيء وبدأ العالم كله يشيد بما حققناه ويعقد الإعلام العربى والأجنبى مقابلات مع القائد العام للحديث عن هذا الانتصار الرائع وكشف حقيقة الثغرة وبالتالى فإنه لم يسترح لحظة، هذا بالإضافة إلى أنه كان يتوقع حدوث حرب أخرى نعيد بها أراضينا القليلة التى ما زال يسيطر عليها العدو ـ فى حالة فشل المفاوضات الدبلوماسية ـ وبالتالى فإنه كان قد مرض مرضا شديدا فى الرئة وتقرر سفره للخارج للعلاج وبما أنه كان قويا فإنه كان يرفض المرض ويقاوم الآلام ويسخر منها ويعلم أنها حاجة بسيطة، ولكن نتيجة لإلحاح المحيطين به وخاصة زوجته وأنا وبعض أحبابه يرضخ ويسافر للعلاج، ولكن سرعان ما يعاوده المرض مرة أخرى ولكن كان القدر وتوفى فى الخارج..

وأذكر هنا أننى قابلته قبل سفره الأخير وأخبرته أننى أجهز نفسى للحج ذلك العام فأجده يجيبنى بفرحة أنه أيضا يرغب

فى الحج وما أسعدنى أن نَجُحَّ معا كعادتنا دائما فى كل شىء، ولكنه القدر!! فلم يمهله لتحقيق أمنيته فقد لاقى وجه ربه وسمعت بهذا الخبر وأنا فى منى وبعد الرجوع من وقفة عرفات. . .

ويراودنى فضول بأن أعرف ـ الكلام للكاتبة ـ هل كان مريضا بالسرطان قبل رجوعه للقوات المسلحة مرة أخرى كما قرأت فى إحدى مذكرات القادة؟ فيصمت اللواء/ حسن ويقول الحقيقة لا أعرف ولا أعتقد ذلك فهو كان لا يشتكى ولكنه أتذكر مرة وبعد خروجه من الخدمة أنه مرض مرضا شديدا وكان لا يرغب فى أن يعرف عنه أحد أى شىء وكان بعيدا عن القوات المسلحة والحقيقة أنه كان حساسا جدا، وأعترف أننى كنت مقصرا فى حقه فى هذه الفترة ولكن غضب عنى ويرجع ذلك لطبيعة عملى التى فرضت علىّ السفر للخارج وقتها، المهم، ذهبت له يوم عيد الفطر، وكان قد عاد لمنزله ووجدت أنه غضبان منى لعدم سؤالى عنه الفترة السابقة ولكن بعد أن عرف بسفرى بالإضافة لما سمعته من أنه لا يريد أن يعرف أحد ما يحدث له. وبعد عتاب بسيط دعانى للإفطار معه مع عائلته. . ومرة أخرى عندما كان وزيرا للحربية وكان المفروض

أن يحضر مناورة بحرية وسيحضرها القائد الأعلى وجدت السيدة حرمه تتصل بى وتخبرنى أنه يصر على الحضور بالرغم من أنه يعانى من مغص شديد واضطراب فى جسده طوال الليل، وتريدنى أن أفعل أى شىء حتى لا يذهب للمناورة، ولكن كعادته يقاوم ويرفض الاستسلام ويأخذ بعض المسكنات ويحضر «الالتزام» وهو يقاوم الألم بكل صبر.. هذا هو أحمد إسماعيل.

وقبل أن ألملم أوراقى وأغلق الكاسيت أجده يقول: إن الحديث عن المشير أحمد حديث لا ينتهى وهو يذكره بالماضى الجميل.. وفى النهاية لهذا الحديث الشيق أجده يطلب له الرحمة ويحيينى على إعدادى لهذا الكتاب الذى يسعى لتسليط الضوء على شخصيات يمكن أن تتناسى من الزمن، وأعطانى مجموعة صور نادرة تجمع بينه وبين المشير أحمد إسماعيل وذلك للاستعانة بها فى كتابى بناء على طلب منى وأعتقد أنها ثروة لا تقدر بثمن.. فله منى خالص الشكر وجزيل الاحترام وطول العمر وموفور الصحة.

●●●●●

الفصل الخامس

من أحاديث المشير/أحمد إسماعيل للإعلاميين والصحفيين بمناسبة الاحتفال بانتصارات أكتوبر فى عيده الأول والذى توفى بعده بشهرين.

وقد كانت له أحاديث كثيرة اخترت منها بعض ما يجيب على تساؤلاتنا ويزيل بعض الحيرة الموجودة عندنا نتيجة لاختلاف الآراء حول بعض الأحاديث.

١ ـ فى حديث له للأستاذ/ عبد الستار الطويلة بمجلة صباح الخير فى ١٠/١٠/١٩٧٤.

إن أهم شيء فى الحروب هو أن تكبد عدوك خسائر كبيرة وجسيمة وأن تحطم قواته العسكرية فى نفس الوقت الذى تحتفظ به بقواتك سليمة وقد عانت أقل خسائر، إننا فى حرب ٦٧ لم تكن الهزيمة منعكسة فقط فى احتلال الاسرائيليين لسيناء وغيرها من الأراضى العربية، إنما الهزيمة كانت منعكسة فى تدمير قواتنا المسلحة ... وتشتيت الجيش وتمزيقه فطالما قواتك العسكرية سليمة، فلديك الفرصة دائما لضرب عدوك واستعادة ما احتله

من الأرض.

٢ ـ وعندما سئل سؤالا عن لماذا لم يتقدم الجيش المصرى بعد العبور وإقامة رؤوس الكبارى نحو ممرات سيناء المشهورة، لاحتلالها، واكتفى باحتلال مساحة من طول الشاطىء الشرقى للقناة بعمق ما بين عشرة وخمسة عشر كيلو مترا..؟ فأجاب أنه لأول مرة فى تاريخ العسكرية المصرية تخرج توجيهات سياسية مكتوبة من القائد العام للقوات المسلحة بجانب التوجيهات العسكرية التى توضح طبيعة المهام والعملية... ولكن ليس سرا أن نقول إن واحدا من أهم هذه التوجيهات هو أن الهدف إلحاق أكبر خسائر ممكنة بالعدو، مع تقليل خسائرنا قدر الإمكان بصرف النظر عن مساحة الأرض التى تحتلها.. أن الهدف هو تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى وكسر التفوق الإسرائيلى الأسطورى المزعوم.

٣ ـ وسؤال آخر عما تردده بعض المصادر الأجنبيه من أن الجيش المصرى ما زال يعانى بيروقراطية تجعل الاتصال بين أطرافه صعبة واتخاذ القرار يحتاج لوقت أطول؟

فأجاب: إن هذا غير صحيح.. فلا توجد بيروقراطية،

بدليل أن خطة العبور وتفاصيلها، اشترك فيها جميع قادة الجيوش والفرق.. وكل قائد كانت له حرية الحركة وحرية اتخاذ القرار... ولم ينقطع الاتصال بين غرفة العمليات وبين أى فرقة فى الجيش ، وإلا فكيف تم الانتصار الكبير الذى تمثل فى العبور واقتحام خط بارليف؟... إن كل واحد فى الجيش كان يعرف دوره وموقعه بالضبط.. ونجده يجيب على تساؤل آخر عن كفاءة السلاح السوفيتى إذاء السلاح الأمريكى.. فيقول بإبتسامته الهادئة: إننى أرى أن العبرة بالرجل(الذى يتبع) خلف السلاح.

إن الأمريكان متفوقون فى أنواع السلاح على السوفيت والعكس صحيح أيضا ... ويصف الفرق ويقول: السلاح السوفيتى قوى وخشن والأمريكى قوى ومرفّه ... فيوجد مثلا تكييف هواء فى الدبابة!! والأمريكان يحاولون بعد حرب أكتوبر إدخال تحسينات فى أسلحتهم على ضوء خبرة الاسرائيليين بمواجهة السلاح السوفيتى، وإننا عندما استخدمنا السلاح السوفيتى وعرفنا خصائصه، استخدمناه بكفاءه (مائة فى فى المائة).

٤ ـ ونجده فى حديثه للأستاذ/ محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام فى ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٣ أى ـ بعد الحرب بشهر واحد.

ويطلب منه السيد/ هيكل أن يحدثه عن شعوره يوم ٥ أكتوبر؟ ونجده يقول:

شعورى كان مزيجا من أحاسيس كثيرة ولكننى أستطيع أن أقول إننى كنت متفائلا... كنت قد ناقشت الخطة مع القادة، قمت بتدقيقها مع الذين سيقومون بتنفيذ المهام، وذهبت بنفسى للجيشين الثانى والثالث المكلفين بالهجوم، وأحسست أن القادة على جميع المستويات مقتنعون بما كلفوا به من مهام، كنت أيضا قد رأيت تجارب تثبت قدرة الإنسان المصرى على الإبتكار وعلى مواجهة الصعاب .. كانت هناك معالجات وابتكارات فى صنع الكبارى وفى عملية فتح الساتر الترابى، فقد جربنا لفتح هذا الساتر المدافع والمفرقعات... إلخ حتى وصلنا للماء، كذلك وجدت معالجات كثيرة أيضا فى فتح الثغرات واقتحام المواقع الحصينة وفوق ذلك كانت هناك ثقتى بالضابط والجندى المصرى.. وهى ثقة عملية وليست غيبية، وكنت أعرف أنهم لو كلفوا بمهمة فإنهم لن يتوقفوا قبل تحقيق

الهدف .

أعود ليوم ٥ أكتوبر . . . كانت مشاعرى مزيجا من أحاسيس كثيرة وأتذكر أننى **وجميع القادة من أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة تعاهدنا أمام الله بأن كلا منا** سوف يبذل قصارى جهده . . وقد كانت هناك عمليات تجرى فى هذا اليوم ولكن فى صمت فوجدت دوريات قد تسللت فى هدوء لنظرة استكشاف أخيرة على النقط الحصينة، وما وراءها من خط بارليف وكانت هناك جماعات دفعت لسد الخراطيم التى كان مفروضا ـ طبقا لخطة العدو ـ أن **تحمل كميات هائلة من السولار** وتلقيها فى القناة لكى تشتعل بالنار عند الإحساس بأول هجوم ولتكن من هذه النار أول عقبة ضد العبور خصوصا بقوارب المطاط وقاموا بسد الخراطيم ولم ينتبه العدو إلى أن ذلك جزء من مخطط أكبر، وأكتشفوا سد **الخراطيم** فى أحد المواقع وجاء مهندس لإصلاحه وكان هذا المهندس ما زال يقوم بعمله عندما وجد قواتنا فوق رأسه وكان واحدا من أوائل الأسرى فى أيدينا. ويوم ٦ أكتوبر/ جاءت **ساعة الصفر** (سَ) وبدأ كل شىء يتحرك وفق الخطة: **ضربة الطيران الرئيسية**: مائتا طائرة تقوم بالضربة الجوية على مواقع العدو الحساسة فى الجبهة

المصرية، ومائة طائرة تقوم بالضربة الأولى على الجبهة السورية، تمهيد هائل بالمدفعية ألف مدفع تهدر فى نفس الوقت.. موجات الهجوم الأول تبدأ وفجأة وجد العدو أمامه ثمانية آلاف رجل ينزلون إلى قوارب المطاط وغيرها من الوسائل ويبدأون فى العبور تحت النار، العدو يقاوم من النقط الحصينة لخط بارليف على طول القناة والدبابات الرابضة فى أماكنها بجانب النقط الحصينة وأوكار المدفعية التى تعززها تشارك فى صد موجات الهجوم الأولى، جنودنا يصلون إلى النقط الحصينة - برغم كل مقاومة - بعض النقط عنيدة فى دفاعها ولكن جنودنا يقتحمون... والمعارك بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية داخل الحصون .. وقد كانت أصعب اللحظات بالنسبة لى هى الساعات التى سبقت دخول الدبابات خصوصا الجيش الثالث.. أن الجيش الثانى نصب جسوره وأخذ دباباته وراءه فى الوقت المحدد، أما فى قطاع الجيش الثالث فقد اكتشفنا أن الساتر الترابى أعمق مما قدرنا، كان فى بعض المواقع بعرض مائتى متر، لم تكن الأرض صالحة لنصب كبارى العبور.. ولكن المهندسين كانوا فى أعظم لحظات حياتهم ولقد بعثت مدير سلاح المهندسين بنفسه إلى مواقع جسور الجيش الثالث وطلبت

منه إتمام المهمة بأى ثمن وأتمها واستشهد نائب مدير سلاح المهندسين على أحد جسور العبور.

وها هى قواتنا البحرية تتحرك لضرب أهداف حيوية على شاطىء البحر الأحمر، قواتنا الخاصة تنزل وراء خطوط العدو فى عمق سيناء لتضرب خطوط إمداده وتعطل هجماته المضادة وتعرقلها، التدفق من الغرب إلى الشرق مستمر فى نفس الوقت لا يتوقف ولا ينقطع، فى أربع وعشرين ساعة كانت لدينا فى الشرق خمس فرق كاملة.. ذلك شىء لم يحدث مثله من قبل فى تاريخ الحروب ، وبدأت قواتنا فى توسيع وتعميق الكبارى ليصبح لنا خمسة رؤوس أساسية ، وفى نفس الوقت فلقد كانت أول مهمة باشرناها وهذه من مفارقات المعركة ـ أن نبدأ بعملية نسف مواقع خط بارليف وأن نزيلها من مكانها وإلى الأبد محتفظين بواحدة منها للعبرة والذكرى!! وفى أول يوم دمرنا ١٥ موقعا وفى اليوم الثانى تسعة وهكذا تحولت النقط الحصينة حلم إسرائيل فى الأمن المطلق، إلى أنقاض وركام.

٥ ـ وعندما أتى الحديث عن الثغرة سئل سيادته السؤال التالى: الثغرة.. كيف حدثت؟ ولماذا سمحنا بحدوثها؟ لماذا تضاربت البيانات الرسمية من حولها؟ لماذا هوّنا من أمرها فقلنا

فى البداية إنها سبع دبابات ، ثم قلنا إننا أحرقنا معظمها، ثم قلنا إننا أنذرنا الباقى بالإستسلام أو الدمار، وفجأةبدأت بياناتنا تتحدث عن القتال على ضفتى قناة السويس؟

فها نحن نراه يجيب بصدق عن حقيقة هذه الواقعة التى كثر الكلام عنها ونجده يقول: سأسلم معك بأن علاجنا لهذه الثغرة من ناحية البيانات لم يكن على النحو الذى تمنيته والتزمت به من أول لحظة فى المعركة وهو ألاّ نقول غير الحقيقة. . . وأريدك أن تعرف أننى لم أقصد فى أى لحظة أن أقول فيما يتعلق بهذه الثغرة أو أسمح لغيرى أن يقول شيئا غير الحقيقة. . ومعنى ذلك أن ما قلناه قد عكس فى معظم الأحيان صورة ما كنا نراه، لقد كنت أعرف من البداية أن جزءا كبيرا من نجاح الحرب مرتهن بثقة الناس فى صدق ما نقوله عن حقيقة ما نفعله. . . ولهذا فإننى طلبت التزاما دقيقا فى كتابة البيانات. . وكانت هناك شكاوى متعددة تصل إلىّ من قلة البيانات الرسمية ومن قلة المعلومات التى تذاع عن المعارك. . ولكنى وضعت **قاعدتين: الأولى** أن ما نستطيع قوله هو ما لا يكشف خططنا وأوضاعنا للعدو -ربما كنا متزمتين فى ذلك بعض الشىء، ولكن التزمّت كان فى رأيى أفضل من التسيب

خصوصا إذا كان الأمر متعلقا بالحرب. **والثانية هى** أن ما نقوله يجب أن يكون صادقا ولكى أكون صريحا معك يجب أن يكون قريبا من الصدق هذا من الناحية النفسية فى علاج الثغرة.

أما من الناحية العسكرية: فإن المعلومات الأولى التى تلقيتها عن العملية وقد وجدتها فى انتظارى بعد أن عدت من جلسة مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر تشير إلى أعداد صغيرة متسللة من الدبابات البرمائية كان تقدير قيادتنا المحلية فى موقع التسلل أن القضاء عليها بسرعة أمر ممكن، وبالفعل فإن القائد المحلى حرك كتيبة صاعقة لمواجهتها. . **وكان هذا سبب**.

سببا آخر: وهو أن المعلومات تقطعت نتيجة اعتبار يتصل بتبادل فى المسئوليات أجريناه لظروف طارئة فى بعض القيادات.

سبب ثالث: أن العدو استطاع أن يخفى دباباته المتسللة فى نقطة الثغرة وهى منطقة حدائق فاكهة ساعدت على التخفى فى المراحل الحرجة فى بداية عمليته.

سبب رابع: هو أن العدو استمات فى فتح هذه الثغرة وذلك أنه ألقى بثقله كله فيها وكان على استعداد لتحمل أى خسائر لتحقيق هدفه ربما كان يريد إرغامنا على أن نسحب من

قواتنا فى الشرق ما نواجه به عمليته فى الغرب وذلك ما لم أكن أريده ربما قلت أن ما لدىّ من شواهد هو ما يؤكد أن العدو فشل فى محاولة أولى لفتح الثغرة وكاد يعدل عنها وكان ذلك عندما أذعنا أننا دمرنا قواته المتسللة، ولكنه عاد بعد ذلك فى مجهود أخير أدرك أنه لو نجح فيه فإنه سوف يحدث لنجاحه أثر نفسى علينا وعليه وعلى العالم يفوق القيمة العسكرية لهذا العمل.

سبب خامس: وقد أكدته ملابسات الوقائع فيما بعد وهو أن العدو كان يعرف أن قرار وقف إطلاق النار سوف يصدر وبالتالى فإن هذا القرار وسريانه سوف يكون عنصر تأمين له فى مغامرة محفوفة بالمخاطرة قام بها ولم يكن فى استطاعته بسبب انتشار قواته فى الغرب وبسبب تبعثرها المقصود لأثره النفسى كحرب عصابات بالدبابات أن يحتفظ بها لوقت طويل.

ويتصل بهذا السبب الخامس أن العدو لم يتخذ وقف إطلاق النار المنتظر كعنصر تأمين لعمليته فقط، ولكنه كما رأينا استغلاله بعد حدوثه لكى يجعل موقفه فى الثغرة قابلا للاستمرار، ولم يكن هذا الموقف قابلا للاستمرار إلا بتضحيته الرهيبة يدفعها لو أن القتال استمر، ولقد كان قبولنا لقرار وقف

إطلاق النار عملية تتصل بأسباب أوسع وموازين أكبر من عملية الثغرة ولقد استغل العدو قرار وقف إطلاق النار ولم نكن نحن غافلين ولقد تذكرت أننى حذرت من غدر العدو على أساس تجارب ١٩٤٨/٥٦/٦٧ لكن علينا لكى نكون بشرا أن نعرف أن كلمة وقف إطلاق النار لها تأثير على القوات المتحاربة وعلى ذلك فإن القوات قد تنبهت واستطعنا حصر منطقة الثغرة وحاولنا ضغطها بكل الوسائل.

دعنى أقول باختصار ما يلى: إننى لم أقصد ولم أحاول أن أضع أمام الناس صورة تختلف عن صورة الحقيقة كما كنا نراها، إننى أسلم بأن هذه الثغرة كانت فترة غير طبيعية بالنسبة للقوات المسلحة لأسباب متعددة سوف نتقصاها جميعا لكى نتعرف على وجوهها ومع ذلك هل يمكن لهذه الثغرة أن تؤثر فى قيمة ما حققناه؟!!

٦ ـ وفى حديث آخر بمجلة المصور بتاريخ ٣/ ٥/ ١٩٧٤.

وعندما سئل عن عجز القمر الصناعى عن تصوير حشد واستعداد قواتنا فى اتجاه عبور قناة السويس قبل ٦ أكتوبر؟.... فيضحك القائد العام ويقول: إنه تفوق التمويه المصرى وقدرته الراقية التى لدى قواتنا على الخداع.

كنا نعرف أن القمر الصناعى الأمريكى سيقوم بالتصوير ولقد صور بالفعل، وكان حقيقة أهدافنا. وقد فحصوا الصور والأفلام ولم يتوصلوا إلى أن قواتنا تستعد للحرب، ذلك هو أهم أعمال التمويه والخداع! شعروا وفهموا أنه ليس بجبهة القناة أى حشد أو زيادة فى حجم القوات المسلحة المصرية ففى المساحة التى تضم كتيبة مشاة كنا نضع كتيبتين ونرسل القوات للمناورة على الضفة الغربية ثم نعيدها بينما تتخلف بعض الوحدات لنستعد دون أن نتوسع فى استخدام الأرض وهكذا تدريجيا وعلى ليالى طويلة مختلفة تمركزت القوات حتى الساعة «س» يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

لقد استطلع العدو بعض قواتنا على الضفة الغربية حتى الساعة الواحدة ظهرا يوم المعركة، ولم يستطع الوصول إلى أى معلومات جديدة حول تحركاتنا.. رأى ولم يفهم!!

٧ ـ وفى حديث أجراه معه الأستاذ/ أنيس منصور لمجلة آخر ساعة نختار إجابة لأحد الأسئلة وهى ما يلى:

سر اختيار توقيت وساعة الحرب؟ ونجده يقول: هذا التوقيت تم الاتفاق عليه بعد دراسات مستفيضة لاختيار أفضل

الأوقات لبدء المعركة ، ثم استقر الرأى بعد هذه الدراسات وبالتنسيق التام مع سوريا على تحديد الساعة الثانية وخمس دقائق موعدا لبدء المعركة على الجبهتين قبل آخر ضوء بمدة كافية . . وليس سرا أن يقال الآن إن هذا التوقيت جاء بعد بحث ودراسة عميقة بالنسبة للشهر واليوم والساعة وبكل التفاصيل الدقيقة، كما أن القيادة المصرية قد أثبتت مهارة كاملة فى الإخفاء التام والتمويه عن نية وتوقيت العمليات والسرية التامة فى كل خطوة. . . كما أن تحديد توقيت بدء الحرب كان عملا عمليا على مستوى رفيع كما وضعت خطة محكمة وشاملة للخداع الاستراتيجى فى كل من مصر وسوريا على مستوى الدولة وقد اشتركت كل أجهزة الدولة لتساير الخطة الخداعية العسكرية . . كما تم توجيه الأجهزة السياسية والإعلامية لتوحيد وتركيز جهودها لتضليل العدو عن نياتنا الهجومية وذلك فى سرية كاملة، وكذلك جهود وزارات الإعلام والخارجية والحربية لتنفيذ بعض الإجراءات التى استمر تنفيذها عدة شهور قبل المعركة. . . وقد أدى مخطط الخداع الإستراتيجى التعبوى إلى نجاح ساحق، حتى إن أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية قد حملت معلومات خاطئة

عن كل ما يحدث فى مصر، وإمعانا فى الخداع فقد سرحنا خمسة وعشرين ألفا من الإحتياطى قبل المعركة بأربعة أيام وكان قد سبق استدعاؤهم قبل ذلك بأيام.

كما أن راديو دمشق قد أذاع يوم ٥ أكتوبر اعتزام الرئيس الأسد زيارة لبعض المحافظات السورية خارج العاصمة.

وفى القاهرة أعلنا فتح باب العمرة للضباط وكذلك تحدد يوم ٨ أكتوبر موعدا لزيارة وزير دفاع رومانيا... كما أن مدير المخابرات المصرية قد حضر بملابسه الرسمية حفلة سفارة أندونسيا ليلة ٥ أكتوبر.. وكل هذه الحيل كان الغرض منها إخفاء كل شيء عن عيون العدو وقد نجحنا فى ذلك تماما.

٨ ـ ولما سئل عن عدم تصوير وتسجيل لحظة العبور وذلك لجريدة الجمهورية للأستاذ/ مصطفى بهجت فى تاريخ ١٠/١٠/١٩٧٤ فكان الرد:

الواقع أننا لم نغفل هذه المسألة، إننى منذ زمن طويل قبل المعركة كنت قد عهدت إلى كل جيش ميدانى ووحداته

بمصورين للسينما وللتليفزيون، فكانوا يصورون الشاطىء الشرقى الغربى للقناة ويستعدون لتصوير المعركة ولكن «السرية» كانت مفروضة وحتمية فلم تكن كل المستويات تعلم يوم ٥ أكتوبر أن المعركة سوف تبدأ فى السادس من أكتوبر! هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المختصين بالجيوش شغلوا واهتموا «بالسرية» وبعنصر «المفاجأة» وبما هو هام جدا بدرجاته الأولى فى إجراءات العبور وبدء المعركة ، حتى إن أحدًا لم يلق بالا كثيرا للتصوير، على أنهم فطنوا إلى ذلك متأخرين يوم ٦ أكتوبر عندما حل المساء فبدأ التصوير الفعلى فى صباح ٧ أكتوبر.

وها نحن نترك حديث المشير أحمد إسماعيل للصحفيين والإعلاميين ونختتم هذا الباقة الرائعة من القطوف السريعة لأسئلة هامة كانت وما زالت محور حديثنا عن أكتوبرالمجيد ونستشف مدى الصدق الذى بين السطور.. والتى أجاب عليها، القائد العام المشير/ أحمد إسماعيل.. فكانت أعظم رد على أى افتراء أو قول يقلل من شأن انتصار أكتوبر أو يشوه فى

الحقائق مما يزيف التاريخ ويجعله عرضة لأهواء شخصية وصراعات فردية، ولكن تبقى حقيقة واحدة، هى أن النصر الذى حققه رجالنا العظماء لن تستطيع أية يد خفية أجنبية أو غير ذلك أن تمحوه من ذاكرة التاريخ ومن وجدان شعوبنا العريقة... وننتقل لموقع آخر من صفحات الكتاب.

●●●●●

الفصل السادس
من أقوال القادة والخبراء العسكريين الأجانب

بعد حرب الكرامة ظهرت ردود فعل متعددة وآراء كثيرة حول هذه المعركة الناجحة لصالح المصريين وكانت لقادة أجانب ومن هذه الأقوال ما يلي:

١ ـ قال الجنرال/ أندريه بوفر (الخبير العسكرى العالمى):

معلقا على الأحداث: «إنه لا يحق لأى جيش فى العالم أن يدعى بأنه كان من الممكن التخطيط والتنفيذ للحرب بأرقى من التخطيط والإدارة المصرية لها»[1].

٢ ـ ونجد الجنرال/ أيلى زاعيرا (مدير الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية إبان حرب أكتوبر) يقول:

خطة الخداع المصرية تعتبر أكبر نجاح على المستوى الاستراتيجى للجيش المصرى.. وتكمن عظمة هذه الخطة وسر نجاحها فى الإدراك بأنه لكى تنجح فى خداع الجيش

(١) وهذه شهادة تقدير فى حق القائد الأعلى والقائد العام وباقى القادة الذين شاركوا فى وضع وتنفيذ الخطة.

الإسرائيلى، فلابد من خداع الجيش المصرى كان لزاما على الرئيس السادات ومجموعة كاتمى أسراره المحدودة جدا أن ينفذوا ثلاثة شروط حتمية وهي:

الأول: الحرص على أن يبقى توقيت شن الحرب سرا دفينا.

الثانى: الإقلال من الحاجة إلى أعمال التخطيط والاستطلاع قبل الحرب.

الثالث: تبسيط الخطة إلى أدنى درجة بحيث لا تتطلب تغيرات معقدة خاصة فى أوضاع القوات.

ويذكر فى مواقع آخر من كتابه ما يلى:

وعلاوة على ذلك فإن هدف المناورات الحربية منذ١٩٧١ وحتى قبل الحرب مباشرة كان يضع الخداع كأحد عوامله، وقد كان المصريون يصرون على أن تعلم المخابرات الإسرائيلية تلك التدريبات وتتابعها حتى إذا وقع الهجوم فعلا فنكون قد تعودنا على مثل تلك التدريبات وبالتالى لا نتخذ إجراء ضدها. ونجد موشى ديان يعلم بمرارة أن حرب أكتوبر كانت بمثابة الزلزال الذى تعرضت له إسرائيل.

ـ وتتبعه السيدة/ جولدا مائير وهى تبكى وتقول: للأسف، إننى اليوم لن أستطيع .. أن أبشر الشعب بانتهاء الحرب بالانتصار.

ـ وفى موقع آخر نجد الجنرال بارليف وهو يقول بصوت كسير: فشلنا.. وفوجئنا!!!... وهكذا تتوالى ردود الأفعال ومن قادة العدو نفسه وهى تعلن على الملأ نجاح الخطة المصرية ببراعتها ودهائها.. والفضل طبعا يعود لرجالنا الأبطال.

ـ وقبل أن أتحدث عن ما ذكره القادة عن المشير أحمد فلابد أن أشير لحقيقة هامة وهى:

أن المشير أحمد قد وفق كثيرا فى اختياره للقادة الذين يعملون معه، فرأينا حسن اختياره للجمسى ليكون ساعده الأيمن، وأعطاه كثيرا من الصلاحيات والثقة مما جعله مؤهلا لأن يكون رئيسا للأركان معه بعد الفريق الشاذلى!! وقبل ذلك كان رئيسا لأركان الجبهة معه أيضا، وكما وفق فى اختياره للمشير الجمسى نجد أنه وفق فى اختيار باقى القادة الآخرين.

وها هم يمتزجون فى علاقة متكاملة ويوثقون علاقاتهم مع كبار الضباط بالقوات المسلحة المصرية.

ـ نعود لما أردنا ذكره سابقا وهو ما قاله القادة عن المشير/ أحمد إسماعيل:

ففى مذكراتهم نجد أنهم لم يختزلوا دوره وتكلموا عنه بحب واضح واحترام شديد.

ـ فها هو المشير الجمسى ـ رحمه الله ـ فى مذكراته الرائعة ينسب للمشير أحمد إسماعيل حقه ويتحدث عنه بكل حب واحترام ويعترف بفضله قبل الحرب وأثناء الحرب، ويذكر ما كان يتمتع به من رؤية واضحة منذ توليه القيادة العامة للقوات المسلحة وكيف أنه كان واعيا لقيمة السلاح المتاح وعلى هذا فإن الخطط التى وضعت كانت تتلاءم مع هذا السلاح والإمكانيات المتاحة من أجل تحقيق الهدف المطلوب، ولا أغفل هنا ما ذكره المشير أحمد إسماعيل عن اللواء الجمسى فى «**كتاب الرجال والمعركة**» والذى يشير فيه للدور الذى قام به معه فى الإعداد والتخطيط ويقول: (لقد شاركنى زميلى اللواء/ محمد عبد الغنى الجمسى ـ رئيس هيئة العمليات ، فى التخطيط يوما بعد يوم وكان له الفضل فى التخطيط ، والبحث والمناقشة الجادة فى بعض الأحيان حتى وصلنا إلى الخطة السليمة التى فاجأنا بها العدو والعالم أجمع وهو ما يذكره لنا العالم، كيف فاجأنا

إسرائيل ومخابراتها وهى تدّعى أنها أحسن جهاز مخابرات فى العالم!!

ـ نترك المشير الجمسى ونتجه للواء/ عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى سابقا ونجده يتحدث فى كتابه «فى قلب المعركة» عن المشير أحمد إسماعيل بحب ظاهر ويشير لمدى انضباطه واستفادته من كل الخبرات والإمكانات المتاحة وتوظيفها لتحقيق الهدف المرغوب.. ثم يقول: المشيرأحمد إسماعيل رجل تعلم وعلمته الأيام والأحداث التى سبقته ـ قبل جلوسه على رأس القيادة العامة للقوات المسلحة ـ الانضباط فى تنفيذ الأوامر والتوجهات الأعلى.

وأتذكر حديثًا آخر للواء سعد الدين مأمون قائد الجيش الثانى الميدانى فى العبور وبعد ذكر الحرب مباشرة والذى يشير فيه إلى أن المشير أحمد كان يكره النمطية فى أي شىء فكان يقول أثناء زياراته لنا:

ـ لا أريد أن أرى العمليات النمطية المعروفة، أريد أن أرى ماذا ابتكرتم؟ وذلك أنه كان يأمرنا دائما بالابتكار..... **ونترك اللواء سعد الدين ونتجه لكلمة السيد الرئيس السادات فى جلسة المجلس الأعلى لقوات المسلحة يوم ٤ مارس ١٩٧٥**

والتى تحدث فيها عن معركة أكتوبر وعن الدور الذى قام به المشير الراحل ونجده يقول : هذا أول اجتماع بعد المعركة وبعد فقد المشير أحمد إسماعيل يهمنى أن أقرر أن هذا الرجل فى عمله وما أداه وما تحمله كان مثالا للجندى المصرى ومثالا للمعنى الجديد للعسكرية المصرية وكان يؤمن بالمقاتل المصرى حيث فقد الكثيرون الثقة ـ فى فترة ما ـ فى قدرة المقاتل المصرى.. أما أحمد إسماعيل فمن أكتوبر ٧٢حتى أكتوبر ١٩٧٣ وإلى ما بعد المعركة إلى أن توفى كان، مثالا حيا للجندى المنضبط المؤمن بالمقاتل المصرى.. وإننى أحيي ذكراه فى هذه المناسبة ونحن نجتمع بدونه.. نقف دقيقة حداد تحية لذكراه.

وهكذا نجد كثيرا من القادة قد ذكروه بين فصول مذكراتهم بكل خير واحترام وبالرغم من ذلك فإننى أجد فى مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى ـ رئيس أركان القوات المسلحة فى حرب أكتوبر ـ بعضا مما يشير إلى توتر العلاقات بينهما ويذكر أسباب هذا التوتر فى مذكراته . . ويرجع سوء العلاقة للخلاف الذى حدث بينهما فى الكونغو ـ وأعتقد أنه خلاف عادى ومشادات عادية غالبا ما تحدث بين الزملاء فى العمل وخاصة عندما يشعر أحد الطرفين بأن الآخر يود التدخل فى عمله ـ

دون أن يتأكد من ذلك - وهذا ما كان يتوقعه الفريق الشاذلى من المشير أحمد إسماعيل الذى أرسل لبعثة فى الكونغو وكان موجودا هناك قبله الفريق سعد الشاذلى لتأدية مهمة أخرى كلف بها. . . والموقف الآخر وهو الاختلاف فى الرأى حول حادث الثغرة.

ولكن تبقى حقيقة مؤكدة ألا .وهى أنه بالرغم من الاختلاف بين بعض الأفراد إلا أن الجميع قد أدى دوره على أكمل وجه وأن كل ما كانوا يسعون إليه هو تتويج النصر لمصر واستعادة كرامتنا.. وبالتالى لا يمكن أن نغفل دور أى فرد شارك فى هذه الحرب المجيدة.

وفى نهاية هذه الرحلة الممتعة والقصيرة مع شخصية المشير أحمد إسماعيل على والتى أبحرنا فيها مع الزوجة، والصديق، ورفيق العمل، ومذكرات الراحل الشخصية، وخلاصة أحاديثه مع الصحف ووسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال ما كتبه عنه الكثير من زملائه فى مذكراتهم وما وصفه به الخبراء العسكريون والاستراتيجيون.. فإننا لو أنعمنا النظر قليلا فى كل ما سبق أن قيل وكتب عنه فسنجد أنه..

- شخصية عسكرية من الدرجة الأولى، كان متفانيا فى عمله، بسيطا فى حياته بعيدا عن النرجسية وحب الظهور يكره الواسطة ويساعد المحتاج ومعتزا بنفسه وبكرامته، متمسكا بالنظام فى كل شىء، يحب العمل فى صمت وقد استطاع أن يحقق المعادلة الصعبة حيث قوة الشخصية ودماثة الخلق والتواضع، بالإضافة حب الدراسة والعمل والمحافظة على الاستقرار الأسرى والأبوى.. وعندما كان يراه أحد كان يشعر أنه صارم حاد، لكن ما أن يقتربوا منه حتى يجدوا إنسانا حنونا طيب القلب بسيطا ومتواضعا ونجده فى تصريحاته بعد الحرب لا ينكر دور أى فرد قام بالمشاركة فى الحرب حتى ولو كان دورا بسيطا فها هو يتباهى بأن كل فرد قام بأداء الدور المطلوب منه على أكمل وجه وأن النجاح فى المعركة لا يعود لفرد فقط، بل لكل الأفراد على مستوى القوات المسلحة وخارجها... أى أن صاحب البطولة الحقيقى كان هو الإنسان المصرى البسيط والأصيل أيا كان دوره.

والحقيقة أنه مهما كتبت ومهما قلت فإن قلمى يعجز عن تسجيل السمات النبيلة التى تحلى بها والتى رأيتها بعينى وشعرتها بمشاعرى ممن قابلتهم وتحدثوا عنه بحب حقيقى، وما قرأته ولمحته بين سطور من ذكروه فى مذكراتهم من قادتنا الأفاضل، وأجدنى مشدودة لذكر مقولة أن «الإختلاف فى الآراء لا يفسد للود قضية» قد يكون اختلف معه أحد الشخصيات ولكن الاختلاف هنا كان من أجل مصر فكل يحمل فى جعبته حب الوطن ، وبالتالى يسعى ويخطط ويعمل من أجل الحفاظ على هذا الحب وبأى وسيلة.

وفى الخاتمة؛ ألا تتفقون معى أن **«المشير/ أحمد إسماعيل على»** شخصية عظيمة وجدير بنا أن نعرفها ونقرأ عنها.

إن السلوى لنا أنه رمز عظيم مثل رموز أخرى ظهرت على أرض وطننا الحبيب، وتركت بصمة واضحة لا يمحوها الزمن.. وخلفت من ورائها سيرة وتاريخا عطرا ينعش الروح ويغذى القلوب ويهذب النفوس ، فنستمد منه العظمة والرقى والهداية.

فلبطلنا العظيم السيد المشير/ أحمد إسماعيل على - الرحمة والتقدير . . . ولباقى رموزنا وأبطالنا العظماء الشكر والفخر والإعتزاز . . . ولأسرته التحية والثناء . . . ولمصر كلها الحفظ والهداية والدعوات بالأمن والاستقرار . . . ونرجو من المولى عز وجل أن يرزقنا برجال مثله تزخر بهم الأمة كما تفخر بهم بين الأمم.

ومع بطل آخر ورمز من رموزنا العظيمة التى نفخر فى أنها تنتمى لنا وتنشأ من تراب أرضنا الطيبة الثرية . .

أميرة فكرى

القاهرة/ ١٢/ ٨/ ٢٠٠٤

●●●●●

مراجع الكتاب

١ـ الرجال والمعركة/ إصدار لوزارة الحربية ١٠/ ١٩٧٤.

٢ـ صانع النصر ـ دكتور/ محمد الجوادى دار جهاد للنشر.

٣ ـ نظرات على انتصارات العسكرية الوطنية المصرية/ الهيئة العامة للاستعلامات.

٤ـ حقائق المعركة/ إصدار عن إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة.

٥ـ الندوة الاستراتيجية التى صدرت أثناء احتفالات القوات المسلحة باليوبيل الفضى لحرب أكتوبر.

٦ـ أعداد من مجلة النصر/أحد إصدارات الشئون العربية.

٧ـ تسجيل لبعض أحاديث القادة فى المحطات العربية.

ومن يعرفون المشير عن قرب، كان لى لقاءات مع:

١ـ الزوجة/ السيدة سماح الشلقانى.

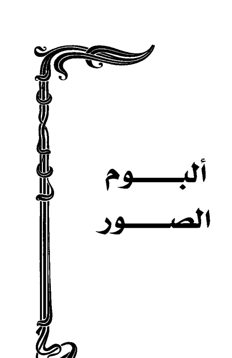
٢ـ السيد اللواء أ.ح/ حسن الجريتلى أمين عام وزارة الدفاع سابقا.

●●●●●

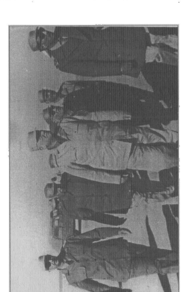
الكاتبة فى سطور

أميرة فكرى أحمد

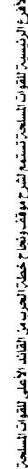
- ليسانس آداب وتربية.
- دبلوم علاقات عامة من كلية إعلام جامعة القاهرة.
- نشرت فى العديد من الصحف والجرائد.
- أصدرت كتاب: كلمات بالسلوفان (قصص قصيرة).
- تعد لكتاب آخر بعنوان مذكرات شابة عصرية.
- حصلت على المركز الأول فى كتابة القصة على مستوى الجمهورية عامى ١٩٩٨/ ١٩٩٩ على التوالى.
- حصلت على الميدالية البرونزية فى مهرجان الشباب العربى عام ١٩٩٨.
- رشحت لتمثيل مصر فى مهرجان قرطاج ومهرجان الشباب العربى بليبيا... والاعتذار كان لأسباب شخصية.
- حصلت على الدورة العاشرة للمحررين العسكريين بأكاديمية ناصر.
- نقيب مكلف سابق بالقوات المسلحة.
- تعمل بوزارة الإعلام.



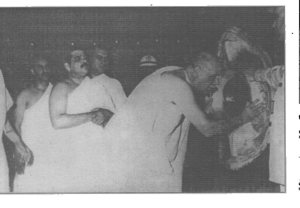
ألبـــوم الصـــور



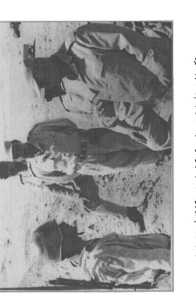
الرئيس السادات يزور الجبهة فى فترة الإعداد لحرب أكتوبر يناير ٧٣



قادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة تستمع لشرح موقف ونجاح خطة الحرب من القائد الأعلى للقوات المسلحة



القادة فى أداء عمرة قبل حرب أكتوبر نوفمبر ٧٢... الفريق أول أحمد إسماعيل. لواء/ حسنى مبارك... لواء/ حسن الجريدلى وسفير مصر فى السعودية



يتأكد بنفسه من أن الجندي يعرف مهمته وكيف يؤديها ... هكذا كان أحمد إسماعيل



الاستعداد للحرب فى الجيش الثانى الميدانى.... الصورة توضح كيف كان يصغى ويستمع للقادة.



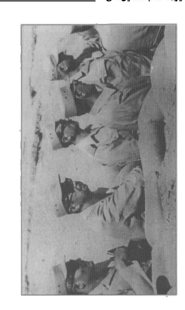
فى القنطرة شرق بمجرد تحريرها أثناء حرب ٧٣ ... الصورة توضح بكاء أحد الجنود فرحا بالنصر.



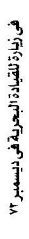
فى مطار بلبيس ٧٣ ق. جوية ... ويظهر فى الصورة اللواء طيار/ محمد حسنى مبارك .. قائد القوات الجوية



أول زيارة لوزير الحربية بعد عبور القوات للضفة الشرقية للقناة.. ويستقبله القادة والجنود بفرحة غامرة



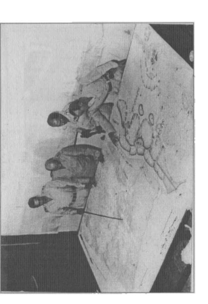
أحد الزيارات الميدانية للجيش الثالث الميدانى



فى زيارة للقيادة البحرية فى ديسمبر ٧٢



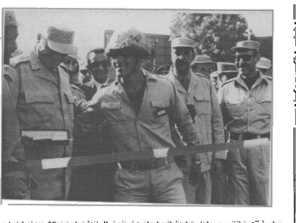
زيارة الجرحى فى نوفمبر ٧٣



دراسة موقف القوات يوم ١٧ أكتوبر... الرئيس السادات يستمع إلى تقرير من وزير الحربية



لقاء القائد العام بالجيش الثالث الميدانى بعد حرب أكتوبر ٧٣.. الصورة توضح أنه شخصية مرحة ضاحكة وتنفى ما أشيع عنه أنه متجهم عابس الوجه

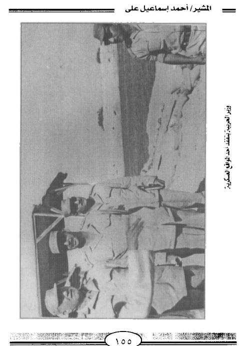


وزير الحربية يفتتح معرض الغنائم وبجواره عبد العاطى صائد الدبابات والذى امر السيد الوزير ان يقوم بنفسه بقص الشريط نيابة عنه.. الصورة توضح الإيثار ومدى احترامه للجندى المصرى وتقديره له

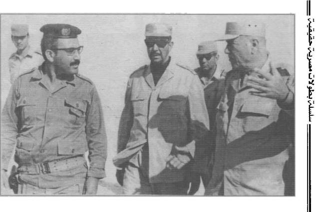
وزير الحربية فى لقاء مع الأسرى الإسرائيليين وهو يصافح العقيد عساف ياجورى... نوفمبر ٧٣ ... هكذا تكون معاملة الاسرى



وزير الحربية يزور الجيش الثالث الميدانى فى سيناء ٢٨ يناير ١٩٧٤م بمجرد فتح طريق السويس



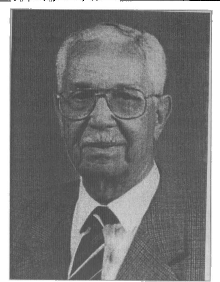
وزير الحربية يتفقد أحد المواقع العسكرية



الفريق أول/ أحمد إسماعيل على مع قائد اللواء المدرع الجزائرى.. بالجيش الثالث.. نوفمبر ١٩٧٣م



لواء أ. ح حسن الجريدلى أثناء الخدمة العسكرية



لواء أ. ح حسن الجريدلى أثناء التقاعد

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٤
شكر خاص	٥
تقديم للواء حسن الجريدلى	٦
مقدمة للواء/ أورهان حمادة	١١
حفيد الحسين المفترى عليه	١٩
تمهيد	٢٢
الفصل الأول	
المشير أحمد إسماعيل فى سطور	٢٦
قطوف من السيرة الذاتية العسكرية للمشير/ أحمد إسماعيل	٢٨
الفصل الثانى	
بداية الاعتبار الحقيقى	٣٢
القتال..... آن أوانه	٣٧
اعرف .... عدوك	٣٩

الموضوع	الصفحة

الجندى المصرى أفضل من السلاح ٤٣

الفصل الثالث

المشير/ أحمد إسماعيل.. فى عيون الزوجة ٥٣

الفصل الرابع

المشير فى عيون زميل العمل والانتصار ٧٢

مرحلة الإعداد للحرب ٩٣

الفصل الخامس

من أحاديث المشير للإعلاميين والصحفيين بمناسبة نصر أكتوبر ١١٠

الفصل السادس

من أقوال القادة والخبراء العسكريين الأجانب ١٢٦

مراجع الكتاب ١٣٦

الكاتبة فى سطور ١٣٧

ألبوم الصور ١٣٨

الفهرس ١٥٩



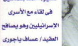
أميرة فكرى

هذا الكتاب

به خبايا وأسرار علاقات المشير أحمد اسماعيل على بالرئيسين عبد الناصر والسادات والقوات المسلحة والمشاكل التى تعرض لها خلال فترة مشحونة بالاحداث المثيرة والدامية.

وبه من الحقائق التى تهم كل مواطن ومواطنة فى الوطن العربى كافة لانه يتحدث عن بطولات رجل لم يمنعه مرضه الخطير من أن يقود القوات المسلحة ويشارك فى صنع نصر اكتوبر العظيم.









المشير/ أحمد إسماعيل فى لقاء مع الأسرى الإسرائيليين وهو يصافح العقيد/ عساف ياجورى

مركز دراسات وأبحاث ابن لقمان
مصر - المنصورة ٣٥٥١١ ص.ب ٩٥
ت: ٠١٢٣٧٤٠٥٦٧ - ٠١٢٤٨٤٠٥٣٩
٠١٠١١٢٤٣٨٧
nabil_khalid73@hotmail.com



يطلب من



مكاتب ومكتبات جريدة الأهرام
ت: ٧٧٠٤١٩٤ / ٠٢